لماذا أسلمنا؟

مجموعة مقالات لنخبة من رجال الفكر في مختلف الأقطار عن سبب إعتناقهم للإسلام

هذَّبه وعلَّق عليه

عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني

لماذا يعتنق الغربيون الإسلام؟ هناك أسباب كثيرة تدعو لذلك، وفي مقدمة هذه الأسباب أن للحق دائماً قوته والعقائد الأساسية في الإسلام كلها تتفق مع العقل وطبيعة البشر، ولها من الجلال والإغراء ما لا يملك معه الباحث الأمين عن الحقيقة إلا أن يستجيب لها.

(محمد أمان هوبوم ـ ألمانيا)

سياسي ومبشر وباحث اجتماعي

ولو أن أحداً سألني عن أهم جانب في الإسلام اجتذبني لأجبت أيضاً الصلاة، لأن الصلاة في المسيحية لا تعد أن تكون دعاء لله (بواسطة المسيح) ليمنحنا خير الدنيا، أما في الإسلام فهي ثناء على الله وتحميد له على كافة نعمه لأنه العليم بما ينفعنا.

(السيدة سيسيليا محموده كانولي ـ أستراليا)

سمعت ولدي يتوسل إلي وفي عينيه دموع «يا أمي لا أريد أن أبقى مسيحياً بعد الآن، إنني أريد أن أكون مسلماً، وأنت يا أمي، يجب أن تنضمي معي إلى هذا الدين الجديد»

(السيدة أمينة موسلر ـ ألمانيا)

لهذا فإنني أعتبر أن الإيمان بعالم الغيب وما وراء المادة هو الذي جعلني أدين بالإسلام، على أن هناك أسباباً أخرى حفزتني لذلك أيضاً، منها مثلاً أنني كنت لا أستسيغ دعوى القساوسة الكاثوليك أن من سلطانهم مغفرة ذنوب البشر نيابة عن الله. ومما كان يباعد بيني وبين المسيحية أنها لا تحوي في تعاليمها شيئاً يتعلق بنظافة وطهارة البدن، لا سيما قبل الصلاة.

(علي سلمان بنوا ـ فرنسا)

دكتور في الطب

دار ابن خزيمة

٢١٣
٨٨٤ل لماذا أسلمنا : مجموعة مقالات لنخبة من رجال الفكر في مختلف الأقطار عن سبب اعتناقهم الإسلام/هذبه وعلق عليه عبدالحميد بن عبدالرحمن السحيباني.- ط١. - الرياض: دار ابن خزيمة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
١٨٤ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم.
ردمك: ٩ - ٢٣ - ٧٤٧ - ٩٩٦٠
١ - اعتناق الإسلام. ٢ - الإسلام - تراجم
أ - السحيباني، بن عبدالحميد، بن عبدالرحمن، معلق.

رقم الإيداع: ٠٩١٧ / ١٤
ردمك: ٩ - ٢٣ - ٧٤٧ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤١٥هـ

دار ابن خزيمة
للنشر والتوزيع
هاتف : ٤٧٦٩٩٣٢


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على النبي الأمي الكريم، وآله الطاهرين، وأصحابه المكرمين، ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

وبعد: فهذا كتاب مترجم لأقوال رجال ونساء من غير المسلمين، يبينون فيه سبب اعتناقهم الإسلام، ويحمدون الله ـ تعالى ـ الذي دلهم على الطريق المستقيم. وهؤلاء منهم العلماء المتخصصون في شتى العلوم، ومنهم الفلاسفة، ورجال السياسة، ومنهم رجال دين.

لقد رأوا بصيص النور فاهتدوا به إلى مصدر الهدى للعالمين، وشهدوا أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يحفظ للبشرية كرامتها أفرادًا وجماعات، ويحفظ لها أمنها، ويدرأ عنها منازع الشر التي استشرت في المجتمعات التي وصفها أهلها باطلاً بالتقدم والرقي، وأثرت على كثير من أبناء المسلمين ـ ضعاف الإيمان ـ واستهوتهم تلك الحضارة الزائفة بما فيها من زخرف ومتاع، وشهوة تهدر كرامة الإنسان، ويندى لها الجبين.

إن هؤلاء النفر الذين أسلموا ـ ما علم الواحد منهم إلا بعض أحكام الإسلام ـ ولكنهم مع ذلك فقد وقفوا مبهوتين أمام هذا النزر اليسير من أحكام هذا الدين العظيم.

وإن تعجب فعجب دخول مثل هؤلاء في الإسلام وخروج أناس ممن ينتسبون للإسلام ـ والله أعلم بما في قلوبهم ـ عن الإسلام بعد أن عرفوا سموه وعظمته، ووصف هؤلاء المرتدون دينهم بالرجعية والتخلف حتى قال أحدهم في مقابلة أجريت معه في أمريكا وقد سئل عن الحال في بلاده،

قال: ما رأينا النور منذ ثلاثة آلاف سنة إلى الآن!! فنعوذ بالله ـ تعالى ـ من الخذلان. وفي الختام أود أن أبين للقارىء الكريم أن العمل الذي قمت به تجاه هذا الكتاب هو التعليقات المرقمة فقط في هوامشه، وهي تكمن في تعديل بعض الأخطاء النحوية والإملائية، وعزو الآيات إلى سورها وأرقامها، مع تحويل التاريخ الميلادي إلى الهجري ـ وهو كثير ـ.

وأما التعليقات غير المرقمة والتي وضع عليها علامة (*) فليست من تعليقي إنما هي من تعليق المترجم الأستاذ مصطفى جبر ـ جزاه الله خيراً ـ.

أسأل الله ـ تعالى ـ أن ينفع بهذا الكتاب المسلمين جميعًا، وأن يثيب كل من قام على نشره وتوزيعه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

عبدالحميد بن عبدالرحمن السحيباني
الرياض
في ١٠/٣/١٤١٤هـ

مقدمة المترجم

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبهداه تشرق القلوب بنوره، يهدي الله لنوره من يشاء، من يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبدالله ونبيه ورسوله، وخاتم أنبيائه؛ بلسانه بلغ الله العالمين رسالته وكمال دينه وتمام نعمته، في القرآن المجيد؛ وبفعله وسلوكه ضرب ا للعالمين المثال العملي والقدوة الحسنة في صدق الإيمان بالله، وصدق التوكل عليه، وصدق الإخلاص له، في تنفيذ أوامره، وسلوك سبيله المستقيمة، فبلغ صلوات الله وسلامه عليه، وبيَّن ما بلغ، وكان قبساً من نور الله أضاء للعالمين طريق الخلاص من ظلمات الجاهلية بشركها وكفرها وآثامها وانحلالها وضيق آفاقها خلقاً وروحاً، إلى نور العلم، ودنيا الإيمان والطهر، وسبيل الرفعة في شتى نواحي الحياة الإنسانية، فاستحق من الله ما وصفه به ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾[١]، و﴿**وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم**﴾[٢].

وبعد، فإن هذا الهدى الذي رفع الله به البشرية يوماً ما من الحضيض إلى الذروة، وطهَّر به القلوب من الرجس، والبلاد من الظلم والفساد، مازال هو بعينه قائماً بين أيدي البشرية، لا يغيب نوره عنها إلا إذا أغمضت عيونها عنه، ولا يزال فطرة الله التي فطر الناس عليها، فلا عذر لها إذا هي ضلت باختيارها، وأشركت بالله ما لم ينزل به سلطاناً، واتبعت الهوى

---

(١) القلم (٤).

(٢) الشورى (٥٢).

فأعماها عن طريق الرشاد، وخشيت من دون الله من لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعاً؛ ولا عجب إذن أن تهون على الله بعد عزة به، وأن يردها الشيطان إلى الظلم والظلمات، بعد رحمة الله ونوره فتتردَّى في المهاوي، كما هو شأنها في عهودها الأخيرة، فتستحق سخط الله وعقوبته، وزراية الشيطان وأعوانه، وعجباً!! كيف يسعى لجنون من عقل؟

على أنه في خضم هذه العماية، وفي بطون هذه الظلمات، ما تزال رحمة الله ـ وهو أرحم الراحمين ـ تتنزل على عباده، فيضرب لهم الأمثال، في رجال ونساء من غير المسلمين، يعرفونهم كما يعرفون أبناءهم، منهم العلماء المتخصصون في شتى العلوم، ومنهم الفلاسفة ورجال السياسة، ومنهم رجال دين، رأوا من نور الله بصيصاً في ثنايا محاولات الكفار الدائبين على طمس حقائق الإسلام، فبهرهم هذا البصيص، وتتبعوا أصوله ومصادره، فخرجوا على أقوامهم، وكشفوا أحابيلهم وأضاليلهم واتبعوا النور الذي أرسل إليهم، وقد أدركوا أن هذا الإسلام دين ارتضاه الله بفضله للعالمين، لا لقوم دون آخرين، أو للسابقين دون اللاحقين، وأنه تتمة للرسالات السابقة يمحو الله به من القلوب الأحقاد، ويجعل به من البشر جميعاً أسرة واحدة تربط بينها المودة والرحمة، فأسلموا وآمنوا وحسن إسلامهم، وصبروا على أذى أقوامهم كما صبر السلف من الرعيل الأول، ونذروا أن يقفوا إلى جانب الإسلام، يبشرون به ويدعون إليه، حبًّا منهم لأقوامهم ورأفة بهم، لا بغضاً فيهم أو حقداً عليهم، وهكذا الإسلام، ما حل قلباً إلا أشرق بالإيمان بالله، وبالخير للناس، وجعل منه القلب السليم الذي ذكره الله في القرآن الكريم ﴿**ولا تخزني يوم يبعثون. يوم لا ينفع مال ولا بنون. إلا من أتى الله بقلب سليم**﴾[٣].

---

(٣) الشعراء (٨٧ ـ ٨٩).

وفي هذا الكتـاب ترجمـة لأقـوال نفـر من هؤلاء الناس الذين رأوا بصيص النور، فاهتدوا به إلى مصدر الهدى للعالمين، وشهدوا أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يحفظ للبشرية كرامتها أفراداً وجماعات وأمماً، ويحفظ لها أمنها، ويدرأ عنها منازع الشر التي استشرت في المجتمعات التي وصفها أهلوها باطلاً بالتقدم والرقي، والتي خلبت كثيراً من الناس قصار النظر، ضعاف الصلة بنور الله، فاستهوتهم بما فيها من زخرف ومتاع شائن يهدر كرامة الإنسانية ويندى له جبين الزمان.

هؤلاء النفر من الناس الذين رأوا النور فاتبعوه، كانوا لبنات في بناء المجتمـع المتحلل الذي عاشوا فيه، في بلاد الحضارة الزائفة المدَّعاة، كما يقولون هم أنفسهم، عما يسود أوطانهم ومواطنيهم، وكانوا مخدوعين بالمباهج وبـالتقدم الصناعي اللذين أديا بالعالم إلى الدمار الروحي لغياب الضمير الموصول بالله؛ ثم لما رأوا الحق قالوا كلمة الحق، شهدوا أن الحياة في غير ظل الإسـلام وهم باطـل وشر مستـطير، وأن الإسـلام لو عمـر القلوب لانعكست الآية وصلحت الأمم، المتقدمة عنها صناعيًا وعلميًا والمتخلفة، لأن الناس كلهم إخوة لا يستعلي أحد على أحد، ولا يستغل فرد أو قوم أقواماً آخرين، بدعوى الاستعمار أو الإصلاح أو الدين.

الناس في ظل عقيدة التوحيد سواسية كأسنان المشط، ولبنات في بناء واحد يشد بعضه بعضاً، لا يتفاضلون إلا بالتقوى، ممثلة في طاعة الله، وبذل الخير والسلام لخلق الله.

هؤلاء النفر الذين أسلموا، لا يقدمون لقراء العربية المسلمين علماً جديداً، فليس لديهم ما لدى القراء العرب من مصادر علوم الدين ومراجعه وشروحه وتفسيراته، ولا يفهمون العربية لغة القرآن الكريم والسنة المطهرة

كما يفهمها المسلمون العرب، بل ولدوا في بيئات مختلفة في الأجواء واللغات والحضارات والاتجاهات، ولكنها جميعًا تتفق على الكيد للإسلام وتشويه حقائقه للنيل منه، فلم تكن لديهم الظروف المعينة على تفتح القلوب لنور الله، كما هو ميسر في البيئة العربية المسلمة.

هؤلاء النفر الذين أسلموا، ما علم الواحد منهم من سمو الإسلام إلا بعض أركانه وتشريعاته، ولا عن عظمة الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلا بعض صفاته ومواقفه في كفاحه وحياته، ولكنهم مع ذلك وقفوا مبهوتين أمام جلال هذا القليل مما عرفوا، فيقول بعضهم: إن كمال هذا الدين في التوحيد، ويقول البعض: إن كماله في بساطته التي تقبلها العقول السليمة، ويقول غيرهم: إنه في الأخوة التي يجمع العالمين في نطاقها، وآخرون يقولون إنه في احترام حقوق الفرد والجماعة والملاءمة بين هذه الحقوق، وامرأة منهم ترى فيه أسبقيته في تقرير حق المرأة في الملكية أو في حماية حقوقها بإقرار تعدد الزوجات، ويكادون يجمعون على أنه هو الدين الوحيد الذي وصل إلينا دون تحريف، وأنه يصل الإنسان بربه دون وساطة رجال كهنوت أو رؤساء روحيين، ويحصر العفو والمغفرة في رحمة الله العفو الغفور.

وهكذا كلٌّ ينظر من زاوية أو زوايا لا تحيط بالإسلام كله، ومع ذلك لم تجد قلوبهم الصادقة في البحث عن الحق، إلا أن تسلم لله رب العالمين.

إنهم لا يقدمون للعالم العربي علماً، ولكنهم يقدمون نموذجاً رفيعاً للإيمان بالحق متى عرفوه، وللامتثال لله بتطبيق القليل الذي علموه، إلى أن يزدادوا علماً فيزيدوا تطبيقاً؛ وهكذا كان الصحابة في عهد النبوة الكريمة، يتنزل عليهم القرآن منجماً فينفذوه في حياتهم فور تنزيله، إلى أن تم نزول القرآن، وتم من الرسول - عليه الصلاة والسلام - البيان، فكمل الدين وتمت النعمة.

ولقد وصلتنا هذه النعمة كاملة صحيحة، محققة مدققة، لا تبديل فيها ولا تحويل، ولا لبس فيها ولا غموض، بل زادها تفصيلاً سلفنا الصالح وأشبعوها دراسة وشرحاً وبياناً، ولم يتركوا مجالاً إلا استنبطوا فيه الكثير، فهل أفادت الأجيال المتأخرة من هذه الذخائر من العلم الرشيد البناء، والنماذج العملية التي أقام عليها أسلافنا دولتهم القوية العادلة الآمنة، التي أشاعت في العالم المعروف يومئذ نور الإسلام وعدالته، وأثبتت بحق نجاح عقائده في النهوض والارتقاء بالأمم؟

إن الأمر على النقيض، فإن هذه الأجيال المتأخرة لم تفد من هذا التراث إلا أن يكون شاهداً عليها، ودليلاً على الجهل والحمق، يرون الدواء وهم المرضى فلا يتناولونه، ويرون الهدى الذي يقيم حياتهم فلا يتبعونه.

إن الأجيال الحاضرة لا تنقصها ذخائر العلم والتشريع، ولكن ينقصها صدق الإيمان بالله الذي هدانا إلى هذا العلم والتشريع، والعليم بما تصلح به السموات والأرض ومن فيهن، وما ينتج عن هذا الإيمان من سلوك عملي يحيل العلم عملاً، والشريعة منهجاً.

وهذا الإيمان هو ما نرى نموذجاً صادقاً له في قلوب النفر الذين أسلموا والذين نترجم أقوالهم في هذا الكتاب(*) وهذا هو ما يطالبوننا به نحن المسلمين العرب، ويأخذون علينا التقصير فيه نحن المسلمين العرب؛ وليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل. فهل من مدَّكر.

(*) الأصل الذي نترجم عنه طبعة شهر (فبراير) شباط ١٩٦١م(٤) المختصرة ـ كراتشي.

---

(٤) يوافق شعبان ١٣٨٠هـ.

ومن الحق أن أقول: إن الفضل في إخراج هذه الترجمة يرجع إلى حضرة صاحب السمو الشيخ قاسم بن حمد آل ثاني وزير معارف قطر، الذي عرض عليه أصل هذا الكتاب باللغة الإنجليزية فأمر سموه بترجمته إلى اللغة العربية، وهو المجبول على الخير، الباذل في سبيله، عسى أن يحفز المسلمين العرب إلى العودة إلى الإيمان بدينهم فيقيموه، فتصلح به دنياهم وآخرتهم، ويكونوا قدوة صالحة لغيرهم من الأمم كما كان أسلافهم.

وقد حاولت أن أكون قدر الاستطاعة أميناً في نقل أقوال هؤلاء النفر بنصوصها كلما سمحت بذلك أساليب اللغة العربية في التعبير عما يقصده الكاتب في دقة وإحكام.

وقد أوردت بعض الآيات القرآنية الكريمة كاملة في معظم مواضعها، وهي في الأصل الإنجليزي فقرة أو فقرات من آيات؛ وفي بعض الأحيان رأيت الربط بين الآية المستشهد بها وبين ما قبلها وما بعدها(٥)، لزيادة إيضاح المعنى المقصود؛ وفي أحيان أخرى كان يشار إلى الآية دون ذكر نصها فرأيت أن آتي بنصها كاملاً.

أما الأحاديث النبوية الشريفة، ومعظمها إضافي خارج عن صلب كلمات الذين أسلموا، فقد كانت ترجمتها الإنجليزية كما هي واردة في أصل

---

(٥) الصواب أن يقال: بين الآية المتشهد بها، وما قبلها وما بعدها. قال شيخنا الأستاذ/ مناع القطان: «وإذا أضيفت بين إلى الواحد وجب أن يعطف عليه بالواو، وذلك نحو: المال بين سعيد وعامر، ولا يجوز في مثل هذه الحالة تكرير «بين» كقول من يقول: المال بين سعيد وبين عامر، أما كتاب هذا العصر فيكررونها ولا يبالون، مستندين إلى أن بعضهم أجاز تكرارها على أنها زائدة للتوكيد، فإن أضيفت «بين» إلى مضمر وجب تكريرها نحو: المال بيني وبينك» اهـ.

الكتـاب، تجعل من أشق الأمور تحديد أصل النص العربي لها، فبعضها معنى لقسم من حديث، قد يتكــرر في أحـاديث عدة، وبعضهـا نقـل اجتهادي للمعنى، وأغلب الظن أنه نقل من اللغة العربية إلى الأردية، ثم إلى الإنجليزية، فرجعت فيها إلى الأخوين العالمين الجليلين، الشيخ يوسف القرضاوي مدير المعهد الديني الثانوي، والشيخ علي جماز المدرس بالمعهد، فكان لهما الفضل في تحديد نصوص الأحاديث المقصودة، وفي تخريجها، وذكر رواتها، ودرجاتها لزيادة الفائدة لقراء اللغة العربية.

كما أذكر بالعرفان المعاونة الصادقة التي قدمها الزميل السيد أبو يوسف في مراجعته لهذه الترجمة، فجاءت أقرب ما تكون إلى الصورة الصادقة التي أردناها لها.

أســأل الله أن يقبـل هذا العمـل، ويجعله في ميزان سمـو الشيخ قاسم بن حمد آل ثاني الذي أمر به، وفي ميزان كل من أسهم في تنفيذ هذه الرغبة النقية الفاضلة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مصطفى جبر

الدوحة في ربيع الثاني ١٣٨٩هـ
يوليو ١٩٦٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

للأستاذ إبراهيم أحمد باواني

لا يحتاج الإنسان إلى ذكاء خارق ليدرك أن العالم غير الإسلامي في وقتنا الحاضر، قد سبق العالم الإسلامي، بما حققه من منجزات لها قيمتها وقدرتها الدافعة، وأنه يتميز بمواجهة الحياة في كفاية أكثر، مستخدماً من الطاقات حظًّا أوفر. فاستطاع أن يسيطر على مصادر القوى الطبيعية ويسخرها لخدمة البشر، بطريقة ما كان يحلم بها السابقون، كما استطاع أن يقهر إلى حد كبير، الأعداء الثلاثة: الفقر والمرض والجهل، وأن يرتفع بمستوى الحياة في خطوات جبارة.

وهذه كلها ولا شك، إنجازات رائعة، تثير عدداً من التساؤلات الهامة لدى أصحاب العقول المفكرة:

هل وضعت المدنية الحديثة، البشر على طريق الكمال؟

وهل نجحت فعلاً في معاونة الإنسان على تحقيق الهدف الحقيقي من وجوده؟

وهل جلبت للإنسانية النعيم والسعادة التي طالما ظمئت إليها الروح البشرية عبر القرون؟

وهل استطاعت هذه المدنية أن ترتفع بالجنس الإنساني عن مستوى معيشة الحيوان؟

وهل استطاعت فعلاً أن ترقى بالناس ليكونوا أوفر ثراءً وأنبل وجوداً وأرق عاطفة وشعوراً؟

إن نفراً قليلاً من سكان العالم الإسلامي، الذين اتصلوا بالعالم الغربي إما عن بعد أو من خلال نظارات ملونة، متأثرين بأفكار سابقة وشعور عميق بالنقص في أنفسهم، هم الذين أخذهم بريق الحضارة الغربية المصطنع وبهرجها، وبلغ التأثير العجيب في بعضهم أن تخيل فيها أسمى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان. . ، ولعمري أن هذا[٦] هو السبب في أنهم أخذوا يفقدون اليقين في دينهم ومبادئه، ونما فيهم شعور بتقديس أعمى لكل ما هو غربي، وبذلك ينبذون من حياتهم بغير تفكير كل سبيل لا يتفق مع ما رأوه من تقاليد الحياة في العالم الغربي، ويتهمون دينهم بالتخلف وعدم مسايرته لروح العصر الحديث.

والعجيب في هذا الأمر أن هؤلاء القوم يؤمنون بمدنية هي في نظرهم قائمة على أساس من التفوق العقلي، ومع ذلك يرون أنه ليست هناك أية ضرورة لإعمال عقولهم الخاصة لبحث عناصر المدنية الغربية التي يجرون وراء تطعيم حياتهم بها. ومعرفة مدى صحتها أو سقمها.

وبعض هؤلاء الناس يرفضون الأديان جميعاً بما فيها الإسلام على أنها لا تناسب احتياجات العصر الحالي، عصر «العقل» لأن الدين في نظر عقول هؤلاء المتحذلقين مجموعة من التعاليم السخيفة والخرافات، ولو أن أحد هؤلاء تريث ليتدبر الأمر ولو لبرهة وجيزة لأدرك أن ذلك الزعم حتى مع افتراض صحته بالنسبة لبعض الأديان الأخرى فإنه لا يمكن أن ينطبق على الإسلام، الذي بني على مبادىء فكرية سليمة. وفي الواقع أن الدعوة التي قام بها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في تاريخ الفكر الديني، تكمن في

(٦) الصواب: ولعمري إن هذا، قال سبحانه: ﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ الحجر (٧٢).

أنه لم يجتذب الناس إلى دينه بواسطة المعجزات، بل بطريق الحجة والإقناع، ولم يترك القرآن الكريم عقلية الإنسان جامدة مشلولة، بل حضّه على أن يفتح بصره وأن يستعمل فكره.

والإنسان إذا أطلق قواه العقلية خالصة من قيود الهوى أو التحيز، فإنه مع هدى الله سيصل إلى «الحقيقة» التي تعرض نفسها عرضاً على أولئك الذين لا يئدون عقولهم وأفئدتهم. وإن كل ما في هذا الكون. في اختلاف الليل والنهار، في عجيب خلق السموات والأرض، في النظام الدقيق المعجز، في الإرادة الحكيمة التي تبدو آثارها في دقائق هذا الكون، والتي وضعت للطبيعة قوانين لا تخطىء، وفي ما لا يدركه الحصر، أن في كل ذلك ما يؤكد الحقيقة الثابتة أن هذا الكون ليس وليد الصدفة وإنما هو نتيجة لمشيئة إلهية مقدسة.

على أن العقل البشري الذي يستطيع الوصول إلى «الحقيقة» لابد أن يكون عقلاً نقيًا طاهراً لا عقلاً تستهويه الشهوات الحيوانية، والرغبات الدنيا.

إن الحظر على الجنس البشري في المدنية المعاصرة لا يكمن في أنها أطلقت التفكير الإنساني حرًّا للبحث عن الحقيقة بل على النقيض من ذلك، يكمن هذا الخطر في إفسادها وتضليلها لهذا التفكير بأن جعلته خاضعاً للنزوات الحيوانية.

والمدنية الحديثة لا تعوزها الوسائل التي تؤدي إلى هذه النتيجة؛ انظر إلى مكتبات الشارع تجدها مليئة بمؤلفات الأدب الداعر الرخيص؛ وإلى دور السينما التي تعرض مشاهد الغرام الماجن والعلاقات الجنسية؛ وانظر إلى

دور اللهـو تجدهـا زاخـرة بالمناظر والرقصات التي تهدف إلى إثارة الغريزة الجنسية، حتى أصبحت النساء عارضات أجسادهن العارية، يخلعن ثيابهن قطعة قطعة أمام النظارة، من أكثر العروض انتشاراً في دور اللهو العصرية، وأضحى حصاد هذا كله هو إتاحة أوسع الفرص للاختلاط غير المحدود بين كل من الجنسين.

في هذا الجو المشحون بالنزوات الشهوانية، أصبح من شبه المستحيل على عدد كبير من البشر أن تعمل عقولهم في حرية بعيداً عن هذه المؤثرات أو أن يستجيب تفكيرهم إلى صوت الضمير، صوت كيانهم الحقيقي الذي وهبهم إياه رب العالمين.

نعم إنـه من المستحيل على أعـداد كبيرة من البشر الذين تفتحت عيونهم لعى هذا الجـو السقيم الـذي هيأتـه المدنية المعاصرة، أن ينطلق تفكيرهم حرًا، ومع ذلك ورغم هذا الجو المضلل المسمم فإن هناك أناساً يجد صوت العقل السليم والضمير الحي استجابة في قلوبهم الجادة في البحث عن الحقيقـة.. وهؤلاء لديهم من البصـيرة ما يمكنهم من إدراك ذلك العفن المستشري في ثنايا المدنية المعاصرة، رغم ظاهرها البراق المتألق، وهؤلاء هم أصحاب الفطرة الإنسانية المتعطشة إلى الاطمئنان النفسي، وإلى السعادة الحقيقية حتى مع إرواء رغبات الجسد، لأن النفس البشرية لا تجد اطمئنانها وسعادتها إلا إذا عرفت «الحقيقة» وعاشت بها.

وفي هذا الكتاب بحث عن «الحقيقة» لنفر من عظماء الرجال تحرقت قلوبهم إليها ولم يرضوا بها بديلاً، نشأوا في بيئة غير إسلامية وكان الإسلام وتعاليمه غريباً كل الغرابة عليهم، وكانوا خلايا من جسد الحضارة الغربية

التي لها على كثير منا أثرها وإغراؤها، ومع ذلك فقد ظلت أرواحهم قلقة حتى وجدوا الصراط المستقيم، صراط الإسلام.

كراتشي في ٢٤ فبراير ١٩٦١م[٧].

---

(٧) يوافق ٩/٩/١٣٨٠هـ.

مقدمـة

بقلم : الأستاذ خورشيد أحمد

الإسـلام دين من عند الله يتضمن نظام الحياة، أنزله خالق الملك العظيم لتهتدي البشرية بنوره.

ولتستقيم الحياة على هذا الكوكب يحتاج الإنسان إلى أمرين : أولهما : توفر ما لا يحصى من أنواع المادة ومصادرها لضمان استمرار الحياة ولمواجهة الاحتياجات المادية اللازمة للأفراد وللجماعات ؛ وثانيهما : معرفة المبادىء الخاصة بسلوك الأفراد والجماعات، لضمان العدالة والاستقرار في المجتمع الإنساني وحضارته.

وكان من فضل الله رب العالمين أن أغدق على البشرية من وافر نعمته في كل من المجالين؛ فسخر للإنسان في المجال المادي الأول كل المصادر الطبيعية وجعلها تحت تصرفه يستغلها كيف شاء، وفي المجال الثاني، في الجانب الروحي والاجتماعي والحضاري، اصطفى الله من بين البشر رسلاً يوحي إليهم من دستور الحياة ما يهدي البشرية إلى الصراط المستقيم، وهذا الدستور هو ما يسمى «الإسلام» وهو دين رسل الله جميعًا(*)، فقد دعا كل

(*) يقول الله تعالى في القرآن الكريم : ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا والذي أوحينا إليك ومـا وصينـا به إبـراهيم ومـوسى وعيسى أن أقيمـوا الـدين ولا تتفـرقـوا فيـه . .﴾ [سورة الشـورى : ١٣]. ويقـول : ﴿قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾. [آل عمران : ٨٤].
ويقول أيضًا : ﴿نزل عليك الكتاب بالحق مصدقًا لما بين يديه﴾ . [آل عمران : ٣].

منهم إلى طريق الخالق ـ جل وعلا ـ طريق الانقياد والإسلام إلى الله[٨].

لقد بلّغوا جميعًا نفس الرسالة، وثبت كل منهم على نفس الدعوة، دعوة الإسلام.

وكلمة «الإسلام» في اللغة العربية تعني الخضوع والاستسلام والطاعة؛ والإسلام دين يقوم على أساس من الخضوع المطلق لله وطاعته، ولهذا سمي «الإسلام».

وهناك معنى آخر في اللغة لهذه الكلمة، فهي تعني السلام، وفي ذلك دلالة على أن الإنسان لا يستطيع أن يصل إلى السلام الحقيقي بين البدن والعقل إلا عن طريق الاستسلام لله، وهذا النمط من الحياة في ظل طاعة الله مجلبة لطمأنينة القلب عند الفرد، ويثبت دعائم السلام والأمن في نطاق المجتمع، وصدق الله العظيم إذ يقول: **﴿والذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب. الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب﴾**[٩].

ولقد كانت تلك هي دعوة رسل الله جميعًا فأخذوا بيد البشرية إلى صراط الله المستقيم.

على أن الناس ما لبثوا أن حادوا عن هذه السبيل فترة بعد أخرى ولم يقف بهم الأمر عند هذا الحد، بل ضلوا وأوّلوا بالباطل هذا الدستور الرباني

(٨) الصواب: والإسلام لله، قال سبحانه: ﴿إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين﴾. البقرة (١٣١). وقال جل وعلا: ﴿فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن﴾. آل عمران (٢٠).

(٩) الرعد (٢٨ ـ ٢٩).

الهـادي الـذي جاء به إليهم رسل الله، وهذا هو السبب في تتابع الرسل ليعودوا بالناس إلى الرسالة الأصيلة ويقودوهم من جديد إلى الصراط المستقيم.

وجاء محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ رسولاً من عند الله وخاتماً للرسل فأبلغ الناس هداية الله الكاملة لتظل باقية ما بقي الزمان، وتلك الهداية هي التي يعرفها العالم باسم «الإسلام» وهي التي صانها الله جل شأنه بالقرآن الكريم من العبث، وكانت حياة الرسول الأسوة الحسنة لها.

العقائد الأساسية في الاسلام

القاعدة الفكرية الأساسية في الإسلام هي أن هذا الكون كله قد خلقه «الله» وهو مالكه، وهو المهيمن على جميع ما فيه، وأنه واحد أحد لا يشاركه في قدسيته سواه، وأنه وحده صاحب الأمر في هذا الكون وهو مبدعه ومدبر أمره، وأنه خلق الإنسان، وقدَّر لكل فرد أجله؛ وأن الله وضع للعالمين سبيلاً قويمة للحياة، ولكنه في ذات الوقت منح العباد مطلق الحرية في اتباعها أو تركها فمن اتبع سبيل الله فأولئك هم المسلمون المؤمنون ومن لم يتبعها فأولئك هم الكافرون المنكرون.

ويدخل الإنسان في الإسلام، إذا شهد في إيمان صادق بوحدانية الله وبأن محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ رسول الله، ويتمثل هذان الاعتقادان في كلمة «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» والشطر الأول من هذه الكلمة يمثل عقيدة التوحيد ويمثل شطرها الثاني الإقرار برسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

وعقيدة التوحيد: عقيدة فكرية جذرية وهي بمثابة الروح في جميع تعاليم الإسلام، وهي تعني أن الكون له مالك واحد، له القدرة جميعًا، أزلي لا يحده مكان ولا زمان، مهيمن على الدنيا ومن عليها من البشر.

وإنه لأمر عجيب حقًا أن يرقب الإنسان ما في الطبيعة من قوى مبدعة لا تنضب، وما فيها من نظام محكم هادف وتناسب واع دقيق، وقدرتها على الإبقاء على الأصلح والقضاء على ما يضر الناس؛ ثم لا يدرك رغم كل ما يرى، أن وراء هذه الطبيعة إرادة شاملة مبدعة دائمة، لا تهن ولا تتوقف، وأن الظواهر الطبيعية جميعها إن هي إلا من آياتها البينات.

هذه الكواكب التي تملأ صفحة هذا الفضاء اللانهائي ؛ وهذه المناظر الطبيعية الخلابة التي تأخذ بمجامع القلوب ؛ وهذه الدورة الشمسية العجيبة ما بين قرب وبعد، وصخامة وتضاؤل ؛ وهذا التناسق المدهش بين الفصول وتتابعها، وتعاقب النهار والليل ؛ وهذه الموارد المائية التي لا تنضب ؛ وهذه الأزهار الرقيقة وذلك اللألاء المترامي، أليس في كل ذلك ما يشير إلى رب هذا الكون وخالقه والمسيطر عليه؟ حيثما وجهنا النظر في هذا الكون لا نرى إلا إبداعاً محكماً، أفلا يدل ذلك على من أبدعه فأحكمه؟ ولا نرى إلا جمالاً وتناسقاً ودقة في الحركة، فهل يكون ذلك بغير خالق؟ إن الطبيعة تسير وفق خطة محكمة الدقة ولا يعقل أن تكون هذه الدقة دون قدرة خططت لها، وإننا لنلمس حكمة سامية وراء وجود هذه الطبيعة والوجود الإنساني، ولابد أن هناك إرادة مدبرة لكل ذلك. إن هذا الكون أشبه بالقصة الرائعة المتكاملة فهل يجوز أن لا يكون وراءها من أبدعها؟ أنصتوا إلى هذه الحقيقة :

﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون. الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾(١٠).

تلك هي العقيدة الأساسية التي دعا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ جميع البشر ليدينوا بها.

وإنها لهي العقيدة الواعية التي تجد الحل الصحيح لكل معضلات الكون، والتي توضح أنه خاضع لنظام كوني دقيق موحد، يشمل جميع ما فيه من عوالم متعددة ؛ وتعطي صورة عامة متناسقة للوجود، يبدو فيها الكون

---

(١٠) البقرة (٢١ ـ ٢٢).

كله يكمل بعضه بعضاً؛ وهي صورة تختلف تماماً عن النظرات الجزئية التي درج العلماء والفلاسفة على أن ينظروا من خلالها إلى الكون؛ وتكشف النقاب عن الحقيقة فيراها الإنسان واضحة جلية.

وبعد قرون عديدة تخبط فيها الناس في الظلمات بدأ الإنسان يقترب رويداً من إدراك هذه الحقيقة، وأخذ التفكير العلمي الحديث يتجه إليها «انظر كتاب التخطيط العظيم»(*).

على أن هذه العقيدة ليست غيبية بحتة أو مجموعة غير متناسقة من الكلمات الجوفاء، إنما هي إيمان قوي دافع، وعقيدة متحررة متجددة، وهي تعني أن الناس جميعاً من خلق الله، فهم جميعاً متساوون، وأن التمييز بينهم بسبب لون أو جنس أو إقليم، نظام جائر لا أساس له فيها، لأن مثل هذا التمييز إنما هو أثر من آثار الجاهلية التي قيدت البشر بقيود الرق والعبودية.

البشرية كلها أسرة واحدة ربها الله ولا مجال فيها لمثل هذه الحواجز أو الفوارق.

الناس سواسية فلا بورجوازية ولا بروليتارية، لا أبيض ولا أسود، لا آري ولا غير آري، لا غربي ولا شرقي، فالإسلام يقدم للناس التفكير السليم الذي يؤدي إلى وحدة الجنس البشري(١١).

وإنما كانت بعثة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ليجمع العالم على كلمة الله، وليبعث الحياة من جديد في هذا العالم الميت؛ واقرأ قول الحق

(*) The Great Design - Francis Mason Ed. Duc-kworth, London.

(١١) يقول سبحانه: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجلعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾. الحجرات (١٣).

ـ تبارك وتعالى ـ: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾**[١٢].

وفي هذا اللون من العقيدة كذلك إعلان صريح عن حقيقة وضع الناس في هذا الكون؛ فالله هو الخالق وهو المهيمن، والإنسان خليفة في هذه الأرض، وكفى بهذا سموًّا بدرجة الإنسان ليكون خليفة في الأرض، وليجعل لحياته هدفاً سامياً هو «أن ينفذ مشيئة الله في الأرض»، وفي هذا حل لجميع المشاكل المعضلة التي تعترض حياة البشر فتسود مبادىء المساواة والعدالة والأمن ويسعد العالم بالسلام والرخاء.

إن نقطة الابتداء في نظر الإسلام هي الاعتقاد بوحدانية الله جل شأنه أي في كلمة التوحيد.

والقسم الثاني من الكلمة (الشهادتين) دليل على أن الله ـ تبارك وتعالى ـ لم يخلق البشر ليتركهم عبثاً بغير هداية تنير لهم حياتهم، بل أرسل إليهم الرسل ليحملوا إليهم نور الله، وكان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاتم المرسلين.

والإيمان بالرسول يقتضي الإيمان برسالته والامتثال للتعاليم التي جاء بها وقبول ما شرعه لهم من سلوك في الحياة، وبذلك يكون الركن الأساسي الثاني في الإسلام هو الإيمان برسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ واعتناق دينه الذي جاء به، وتنفيذ تعاليمه؛ وهذا يؤدي بنا تلقائيًّا إلى الركن الثالث من الإسلام، وهو الإيمان بالحياة الأخرى.

---

(١٢) آل عمران (١٠٣).

والدنيا في نظر الإسلام دار ابتلاء يحاسب الإنسان على عمله فيها، ولابد من يوم تنتهي فيه حياته على الأرض ثم من وراء ذلك بعث في عالم جديد، حيث يلقى الإنسان جزاء ما عملت يداه، من نعيم أوعذاب، عن حسناته وسيئاته.

فالـذين يطيعـون الله في هذه الـدنيا يلقون النعيم المقيم في الدار الآخرة، والذين يعصونه فيها، يلقون في الآخرة سوء العذاب، وفي ذلك يقول الله ـ سبحانه ـ في القرآن الكريم: ﴿وكلَّ إنسان ألزمناهُ طائرَهُ في عُنُقه ونُخرج له يومَ القيامةِ كتابًا يلقاه منشوراً. اقرأ كتابك كفى بنفسكَ اليوم عليكَ حَسيباً﴾[١٣].

ويقـول سبحانه في سورة الأنعام (١٦٠): ﴿منْ جاءَ بالحسنةِ فلهُ عَشْرُ أمثـالهـا ومَنْ جاء بالسيئـةِ فلا يُجزى إلا مثلها وهُم لا يُظلمون﴾.

من هذا نرى أن الأركان الأساسية في عقيدة الإسلام ثلاثة هي:

(أ) الإيمان بوحدانية الله.

(ب) الإيمان بأن محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرسل من ربه مع الإيمان برسالته.

(جـ) الإيمان بالحياة الأخرى وبالحساب يوم القيامة.

فمن آمن بهذه المبادىء فهو مسلم، وهي جميعها مركزة في كلمة «لا إلـه إلا الله محمد رسول الله».

---

(١٣) الإسراء (١٣ ـ ١٤).

الخصائص الرئيسية في الاسلام

يقول برنارد شو «إني أكنُّ كل تقدير لدين محمد لحيويته العجيبة، فهو الدين الوحيد الذي يبدو لي أن له طاقة هائلة لملاءمة أوجه الحياة المتغيرة وصالحاً لكل العصور. لقد درستُ حياة هذا الرجل العجيب، وفي رأيي أنه يجب أن يسمى منقذ البشرية دون أن يكون في ذلك عداء للمسيح. وإني لأعتقد أنه لو أتيح لرجل مثله أن يتولى منفرداً حكم هذا العالم الحديث لحالفه التوفيق في حل جميع مشاكله بأسلوب يؤدي إلى السلام والسعادة التي يفتقر العالم إليهما كثيراً؛ وإني أستطيع أن أقول إن العقيدة التي جاء بها محمد ستلقى قبولاً حسناً في أوربا في الغد. وقد بدأتْ تجد آذاناً صاغية في أوربا اليوم»(*).

فما هي خصائص الإسلام ومميزاته التي جذبت إلى عقيدته ما لا يحصى من البشر في الأزمان الماضية، والتي تجعله مقبولاً ومناسباً للعصر الحديث؟

الخاصة الأولى: البساطة والمنطقية والقابلية للتطبيق:

فالإسلام دين لا أساطير فيه، وتعاليمه بسيطة وواضحة مفهومة، فهو لا يقرُّ الخرافة ولا المعتقدات التي تنافي العقول السليمة؛ والإيمان بوحدانية الله، وبرسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من ربه، وبالحياة الآخرة هي المبادىء الرئيسية في العقيدة الإسلامية، وكلها قائمة على أساس من الفكر السليم والمنطق الرصين.

(*) الإسلام الصحيح ـ برنارد شو ـ سنغافورة ـ المجلد الأول ـ رقم ٨/١٩٣٦.

وجميع تعاليم الإسلام ترتكز على هذه الأسس الأولية وجميعها بسيطة وقويمة.

وليس في الإسلام سلطة كهنوتية تحتكر الدين ولا أفكار مجردة يصعب تصديقها ولا طقوس دينية معقدة، ويستطيع كل إنسان أن يقرأ كتاب الله (القرآن) ثم يصوغ حياته عمليًا طبقاً لهذا الكتاب.

والإسلام يحثّ الإنسان على التفكر وتدبر الأمور، وعلى البحث عن الحقيقة والسعي إلى المعرفة؛ ويأمر الله الإنسان أن يسأل ربه المزيد من العلم **﴿وقل رب زدني علماً﴾**[١٤].

ويؤكد الفرق البعيد وعدم المساواة بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون **﴿أمّن هو قانتٌ آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب﴾**[١٥].

وينعى سبحانه على أقوام لا يتدبرون ما في خلق الله من عجائب ومعجزات، ويصفهم بأنهم دون مرتبة الحيوان: **﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضلُّ أولئك هم الغافلون﴾**[١٦].

كما يصف سبحانه أولئك الذين يصدِّقون بآيات الله بأنهم قوم

---

(١٤) طه (١١٤).

(١٥) الزمر (٩).

(١٦) الأعراف (١٧٩).

يعلمون ﴿وهو الذي جَعَل لكم النجومَ لتهتدوا بها في ظلمات البرِّ والبحر قد فصَّلنا الآياتِ لقومٍ يعلمون﴾[١٧].

ويصفهم أيضاً بأنهم قوم يفقهون فيقول سبحانه: ﴿وهو الذي أنشأكمْ من نفسٍ واحدة فمستقرٌّ ومستودع قد فصَّلنا الآيات لقوم يفقهون﴾[١٧].

كما يقول عن الذين منحهم الله الحكمة إنه آتاهم الكثير من الخير وبأنهم أولو الألباب فيقول: ﴿يؤتي الحكمة مَنْ يشاء. ومن يُؤتَ الحكمة فقد أُوتِي خيراً كثيراً وما يذَّكر إلا أولوا الألباب﴾[١٨].

وجعل سعة العلم وعافية البدن من صفات الذين اصطفاهم الله ليحكموا بين الناس، وذلك في حكايته عن بعث طالوت ملكاً على قومه ﴿وقال لهم نبيُّهم إن الله قد بَعَثَ لكم طالوت ملكاً قالوا أنَّى يكون له الملكُ علينا ونحنُ أحقُّ بالملكِ منهُ ولم يُؤتَ سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزادهُ بسطة في العلم والجسم والله يُؤتي ملكهُ من يشاء والله واسع عليم﴾[١٩].

ويقرر القرآن الكريم أنه بالعلم استحق الإنسان الأفضلية على الملائكة. واستحق الخلافة في الأرض ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعلٌ في الأرض خليفة قالوا أتجعلُ فيها من يُفسدُ فيها ويسفِك الدماء ونحن نُسبِّح بحمدك ونُقدِّس لك قال إني أعلمُ ما لا تعلمون. وعلَّم آدم الأسماء

---

(١٧) الأنعام (٩٨).

(١٨) البقرة (٢٦٩).

(١٩) البقرة (٢٤٧).

كلَّها ثم عرَضَهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتُم صادقين. قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علَّمتنا إنك أنت العليمُ الحكيمُ. قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقُل لكم إني أعلمُ غَيب السموات والأرضِ وأعلمُ ما تُبدون وما كنتم تكتمون﴾[٢٠].

ويقول رسول الإسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «طلبُ العلم فريضة على كل مسلم»(*)، ويقول: «من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع»(*). ويقول: «تعلَّموا العلم فإن تعلُّمه لله خشية، وطلبَه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحثَ عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صَدَقة، وبذلَه لأهله قُرْبة»(*).

وهكذا يُخرج الإسلام الناس من عالم الخرافات ومن ظلمات الجهل ويأخذ بيدهم إلى دنيا العلم والنور، وهو في ذلك دين عملي لا ينحصر في نظريات فارغة عقيمة، بل يقرر أن الإيمان ليس مجرد معتقدات يؤمن بها الإنسان، إنما على الإنسان أن يجعله ينبوع حياته الواقعية فتسري روحه في كل ما يؤديه من عمل كما يسري الماء في خلايا الكائنات الحية، ذلك أن الإيمان بالله يستتبع تنفيذ أوامره، فليس الدين مجرد كلمات ترددها الأفواه في ذكر الله والثناء عليه، بل هو حياة الإنسان كلها، وفي هذا يقول الله ـ جل وعلا ـ: ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسنُ مآب﴾[٢١].

(*) رواه ابن عبدالبر عن أنس ونصه «اطلبوا العلم ولو بالصين فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم». وهو ضعيف.

(*) رواه الترمذي عن أنس.

(*) رواه ابن عبدالبر في كتاب «جامع البيان» مرفوعًا وموقوفًا.

(٢٠) البقرة (٣٠ ـ ٣٣).

(٢١) الرعد (٢٩).

ويقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغي به وجهه**»(*).

ولهذا نقول إن الإسلام دين البساطة، والعقل، والواقعية.

الخاصة الثانية: وحدة المادة والروح:

من الخصائص الفريدة للإسلام أنه لا يفصل فصلاً كاملاً بين المادة والروح، بل ينظر إلى الحياة على أنها وحدة تشملهما معاً، فلا يحول بين الإنسان ومقتضيات الحياة، بل يتولى تنظيم هذه المقتضيات؛ لا يقر الحرمان ولا يطلب تجنب الحياة المادية، بل يرسم الطريق إلى رفعة الجانب الروحي من خلال تقوى الله في النواحي المختلفة من حياة البشر، لا من خلال إنكار المطالب الدنيوية، ويحكي عن عباد الله الصالحين: ﴿**ومنهم من يقول ربَّنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار. أولئك لهم نصيبٌ مما كسبوا والله سريع الحساب**﴾(٢٢).

كما ينعي على أولئك الذين لا ينعمون بواسع فضل الله وما خلق من متاع فيقول: ﴿**قل من حرَّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قُلْ هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصةً يوم القيامة كذلك نفصِّل الآيات لقومٍ يعلمون**﴾(٢٣).

ولكنه في الوقت ذاته يطلب إليهم أن يكونوا في ذلك أمَّةً وسطاً: ﴿**يا**

(*) رواه النسائي عن أبي أمامة رضي الله عنه.

(٢٢) البقرة (٢٠١ ـ ٢٠٢).

(٢٣) الأعراف (٣٢).

بني آدم خُذُوا زينتكم عند كلِّ مسجدٍ وكُلوا واشرَبوا ولا تُسرِفُوا إنَّه لا يُحبُّ المسرفين﴾(٢٤).

ويقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم**»(*). ويقول مخاطباً عبدالله بن عمرو بن العاص: «**ألم أُخْبَر أنك تصوم ولا تفطر وتصلي الليل؟ فلا تَفعَل، فإن لعَيْنِكَ حظًّا، ولنفسك حظًّا، ولأهلك حظًّا، فصم وأفطر، وصلِّ ونم**»(**)

ويقول في مناسبة أخرى: «**ثلاث من الإيمان، الإنفاق من الإقتار، وبذل السلام للعالم، والإنصاف من نفسك**(***)

فالإسلام على ذلك لا يقر الفصل بين المادية والروحانية في حياة الإنسان، ولكن يؤلف بينهما حتى يتسنى للإنسان أن يمارس الحياة بكل طاقاته على أسس صحيحة سليمة، ويعلمه أن الجانبين المادي والروحي متلازمان متلاصقان، وأن تنقية الروح من الشوائب أمر ميسور إذا استخدمت المادة لصالح الإنسانية، ولا يتم ذلك بالتقشف والزهد وقهر الغرائز الحيوية.

وكم قاست البشرية نتيجة سيطرة جانب واحد من الجانبين الروحي

---

(٢٤) الأعراف (٣١).

(*) رواه البخاري والترمذي وأحمد وابن ماجة عن ابن عمر.

(**) وفي رواية أخرى «**فإن لزوجك عليك حقًّا ولزورك عليك حقًّا** (يعني زوارك) **ولجسدك عليك حقًّا**». وقال: «**فصم صوم داود نبي الله عليه السلام فإنه كان أعبد الناس**» قال، قلت يا نبي الله وما صوم داود، قال: «**كان يصوم يومًا ويفطر يومًا**». رواه مسلم عن عبدالله بن عمرو.

(***) رواه البزار في مسنده عن عمار بن ياسر.

والمادي في كثير من الأديان والمذاهب، فبعضها بالغ في تغليب عالم الروح وتجاهل الناحية الدنيوية ونظر إليها على أنها وهْمٌ وخيال خدَّاع وشَرَكٌ يجب الفرار منه؛ وبعضها بالغ في تغليب عالم المادة وتجاهل الجانب الروحي واصفاً إيَّاه بأنه مجرد وهم مصطنع وتلفيق خيالي، ولم تجن البشرية من هذا الاتجاه أو ذاك إلا التعاسة والشقاء، بعد أن فقدت عوامل الأمن والرضى والاستقرار؛ وحتى في أيامنا هذه فإنه مازال التوازن بين الجانبين مفقوداً.

يقول العالم الفرنسي الدكتور دي بروجبي Dr. De Brogbi: «إن الخطر الكامن في المدنية المادية البحتة يمكن تلخيصه في أنه موجه إلى هذه المدنية نفسها. هذا الخطر هو الاختلال وعدم التوازن المتوقع حدوثه إذا لم تجد الحياة الروحية لها طريقاً إلى جانب المدنية المادية لتعيد إلى الحياة الإنسانية توازنها الذي تفتقر إليه».

لقد اعتمدت المسيحية على أحد الجانبين وأخطأت المدنية الحديثة في الجانب الآخر.

ويقول لورد سنل Lord Snell: «لقد أسَّسْنا بنياناً ظاهِرُه النُّبل والتناسق، ولكننا أهملنا المتطلبات الرئيسية اللازمة لتنظيم داخليته. لقد وضعنا التصميم الدقيق للوعاء وزخرفنا ظاهره وبدا جميلاً نظيفاً؛ أما باطنه فسلبٌ واغتصاب وتطرف[٢٥]؛ إننا لم نستخدم ما عندنا من علم وقوة متزايدين على مرِّ الأيام إلا للمتاع الجسدي، ولكننا تركنا الجانب الروحي ضعيفاً قاصراً».

---

(٢٥) من المؤسف جدًّا أن مصطلح (التطرف) صار اليوم يطلقه العلمانيون على المؤمنين المتمسكين بدينهم.

والإسلام يهدف إلى إيجاد توازن بين هذين الوجهين في الحياة، المادي والروحي. إنه يقرر أن كل ما في هذا العالم مسخّر للإنسان ولكن الإنسان نفسه عبدالله، وأن رسالته في الحياة هي أن ينفذ مشيئة الله؛ وفي الإسلام للإنسان مدد روحي كما فيه إرواء لحاجاته الدنيوية ويدفع به دائماً إلى تنقية الروح كما يدفعه في نفس الوقت إلى تقويم وتنظيم حياته الدنيا وليقيم الحق ويهجر الظلم، ويسلك سبيل الفضيلة ويتجنب الرجس والرذيلة.

وبذلك؛ فإن الطريق التي رسمها الإسلام هي الطريق الوسط المثلى.

الخاصة الثالثة: الاسلام نظام كامل للحياة:

ليس الإسلام ديناً يحصر فعاليته في نطاق الحياة الفردية للإنسان كما هي الصورة المشوهة عنه في أذهان الكثيرين؛ بل هو نظام كامل للحياة البشرية في مختلف ميادينها يرسم الطريق لكل جوانبها، سواء في ذلك حياة الفرد أو الجماعة، وفي جانبيها المادي والروحي، وفي مجالاتها الاقتصادية والسياسية والتشريعية والثقافية والإقليمية والعالمية.

والقرآن يحض الناس على الدخول في الإسلام دون أدنى قيد أو شرط إلا أن يقيموا أمر الله في جميع نواحي حياتهم.

ولكن الناس انحرفوا عن سواء السبيل، وما كان أشقاهم وأتعسهم حين اختاروا لأنفسهم أن يحصروا هذا النظام الشامل، فلم يأخذوا به إلا في نطاق الحياة الخاصة للفرد متجاهلين الحكمة الإلـهية والنور الرباني فيما أعطاهم من تعاليم تنظم مجتمعهم وثقافتهم.

ومـا نعتقد أن هناك عاملاً آخر أهم من هذا في أسباب الانحلال

الديني في العصر الحديث، حيث عاد الناس القهقرى بدينهم وحصروه في هذا الحيز الضيق في الحياة الخاصة.

يقول أحد الفلاسفة المحدثين: «يطلب إلينا الدين أن ندع ما لقيصر لقيصر وما لله لله، وهذا الفصل التشريعي بين الاثنين لا يعني إلا الحط من قيمة كل من السلطتين الدنيوية والربانية. . . ، وما أضع قيمة الدين إذا لم تفزع ضمائر أتباعه عندما تنتشر سحب الحرب فوق الرؤوس ويصبح السباق الصناعي مصدراً للخطر يهدد الأمن الاجتماعي. لقد أوهن الدين في ضمير الإنسان خلقه الاجتماعي والإحساس الروحي عندما فصل بين ما لله وبين ما لقيصر»[٢٦].

والإسلام ينفي بتاتاً مثل هذا التصور والاعتقاد، ويؤكد بوضوح أنه يهدف إلى تنقية الروح وإعادة بناء المجتمع على أساس قويم. ويقول الحق ـ سبحانه ـ: **﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبيِّنات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناسُ بالقسطِ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصرهُ ورسلَه بالغيب إن الله قويٌّ عزيز﴾**[٢٧].

ويقول: **﴿وما تعبدون من دونه إلا أسماء سمَّيتموها أنتم وآباؤكم ما أنزَل الله بها من سلطان إن الحكمُ إلا لله أمرَ ألاّ تعبدوا إلاّ إيَّاه ذلك الدين القيم ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون﴾**[٢٨].

---

(٢٦) الصواب: عندما فصل بين ما لله وما لقيصر. انظر التعليق رقم (٥).

(٢٧) الحديد (٢٥).

(٢٨) يوسف (٤٠).

ويقـول في وصف المؤمنين الذين يستحقون نصر الله : ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقامُوا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾(٢٩) .

ويقـول رسـول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل في أهل بيتـه راع ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته»(*) .

وما أظن أحداً بحاجة إلى دراسة عميقة لتعاليم الإسلام ليدرك أنه دين شامل ينتظم جميع مجالات الحياة الإنسانية، ولا يدع أي ناحية فيها لتتسرب إليها قوى الشر الشيطانية .

الخاصة الرابعة: الموازنة بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة:

وهناك ظاهرة أخرى فريدة في دين الإسلام أنه يوجد تناسقاً بين حياة الفـرد وحياة الجـماعة، فهو يؤكد وجود الكيان الشخصي للفرد ويعتبر كل إنسان مسئولاً ومحاسباً أمام الله، ويضمن للفرد الحقوق الأساسية، ولا يبيح مطلقاً لأي كائن أن يعبث بها أو أن ينتقص منها، ثم هو يحافظ على كرامة الفرد وشخصيته ويجعل ذلك في المقام الأول من تعاليمه التربوية. ولا يؤيد مبدأ ضياع الكيان الفردي في نطاق كيان الجماعة أو الدولة .

ويقول الله ـ جل وعلا ـ: ﴿ألَّا تزرُ وازرةٌ وِزْرَ أُخرى. وأن ليس

(٢٩) الحج (٤١).
(*) عن ابن عمر رضي الله عنه، متفق عليه .

للإنسان إلا ما سعى. وأن سعيه سوف يُرى. ثم يُجْزاه الجزاءَ الأوفى﴾[٣٠].

ويقول: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾[٣١].

ويقول: «له مُعَقِّباتٌ من بين يدَيْه ومِنْ خَلفِه يَحْفَظونه مِن أمر الله إنَّ الله لا يغيِّر ما بقومٍ حتى يُغيِّروا ما بأنفسهم﴾[٣٢].

ويقول: ﴿لا يُكلِّفُ الله نفْساً إلاَّ وُسْعها لها ما كَسَبتْ وعليها ما اكْتَسَبتْ﴾[٣٣].

ويقـول في معرض المحاجَّة بين المؤمنين والمنكرين: ﴿وإذا سَمِعُوا اللَّغْوَ أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالُنا ولكم أعمالُكم سَلامٌ عليكُمْ لا نَبْتَغِي الجاهلين﴾[٣٤].

هذا في جانب حياة الفـرد، أما فيما يتعلق بحياة الجماعة فالإسلام يَغْرِسُ في النفس البشرية شعورها بمسئولية الجماعة ويربط بين الناس في نطاق الجماعة والدولة، ويأمر كل فرد بمراعاة الصالح العام المشترك.

فالصـلاة في الإسـلام تقام في جماعات وفي هذا ما يغرس الشعور بالنظام الجماعي في نفس الفرد الواحد.

والزكاة فرض على من يملك نصابها، قال ـ تعالى ـ: ﴿وفي أموالهم

---

(٣٠) النجم (٣٨ ـ ٤١).
(٣١) الشورى (٣٠).
(٣٢) الرعد (١١).
(٣٣) البقرة (٢٨٦).
(٣٤) القصص (٥٥).

حقٌّ للسائل والمحروم﴾[٣٥] وهي حق للجماعة طبعاً.

والجهاد فرض، وفي هذا ما يوجب على الفرد - إذا جد الجد - أن يبذل حتى روحه دفاعاً عن الإسلام والدولة الإسلامية، وفي هذا يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته..**»[*].

ويقول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: «**إياكم والظنَّ فإن الظنَّ أكذبُ الحديث، ولا تحسَّسوا ولا تجسسوا ولا تنافَسوا ولا تَحاسَدوا ولا تَباغضوا ولا تَدابروا وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله تعالى**»[**].

ويقول: «**ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم به**»[***].

ويقول: «**المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم**»[****].

وخلاصة القول: أن الإسلام يقرر الحقوق الفردية كما يقرر حقوق الجماعة ويقيم نوعاً من التناسق والتوازن بين كل منهما ويحدِّدُ الحدود الدقيقة المناسبة لهما.

---

(٣٥) الذاريات (١٩).

(*) متفق عليه وسبق إيراد نصه كاملاً.

(**) تتمة الحديث «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ههنا، التقوى ههنا، التقوى ههنا (وأشار إلى صدره) بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وعرضه وماله». عن أبي هريرة رواه مالك والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي واللفظ لمسلم، قال في الترغيب والترهيب: هو أتم الروايات.

(***) رواه البزار والطبراني عن أنس.

(****) رواه ابن ماجة عن فضالة بن عبيد.

الخاصة الخامسة: عالمية وإنسانية:

الإسلام رسالة من الله إلى الجنس البشري بأسره ويقرر الإسلام أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو رب العالمين: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾[٣٦] وأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ رسول الله إلى الناس كافة ويؤكد القرآن ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ يا أيها الناس إنِي رسولُ الله إليكُم جميعاً الذي له مُلْكُ السمواتِ والأرض لا إلـه إلاَّ هو يُحْيي ويُميت فآمنوا بالله ورسولِه النبيِّ الأمِّيِّ الذي يؤمنُ بالله وكلماتِه واتَّبعوه لعلكم تهتدون﴾[٣٧].

وفي قوله: ﴿تبارك الذي نزَّلَ الفرقانَ على عبده ليكونَ للعالمين نذيراً﴾[٣٨].

وفي قوله: ﴿وما أرسلناكَ إلا رحمةً للعالمين﴾[٣٩].

والإسلام يقرر أن الناس سواسية، مهما اختلفت ألوانهم وألسنتهم وأجناسهم ومواطنهم، وهو توجيه من الله إلى الضمير الإنساني وينكر كل فارق من جنس أو طبقة أو مال.

ولا يستطيع أحد أن ينكر أن هذه الفوارق كانت ومازال قائمة حتى في عصرنا هذا الذين يدَّعون أنه عصر النور والحضارة، ولكن الإسلام ينكر قيامها وبقاءها ويقرر أن البشر جميعاً أسرة واحدة ربُّها الله، وفي هذا يقول

---

(٣٦) الفاتحة (١).

(٣٧) الأعراف (١٥٨).

(٣٨) الفرقان (١).

(٣٩) الأنبياء (١٠٧).

الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «**الخَلْق كلُّهم عيالُ الله، فأحبُّهم إلى الله أنفعُهم لعياله**»(*).

فالإسلام دين عالمي في نظرته للأمور وعلاجه لها ولا يجيز مطلقاً قيام الحواجز والمميزات التي نشأت في عهود الجاهلية؛ إنه دين يهدف إلى جمع البشر كافة تحت راية واحدة، وهو بالنسبة لهذا العالم الذي مزقته الأحقاد والتنافس بين أممه المختلفة؛ إنه ـ ولا شك ـ رسالة الحياة والأمل في مستقبل عظيم مزدهر.

الخاصة السادسة: الثبات والتطور:

لقد كان القاضي كاردوزا Mr. Justice Cardoza على حق عندما قرر «أن أقصى ما يحتاج إليه وقتنا الحاضر هو فلسفة وسط بين الدعاوى المتصارعة ما بين الجمود والثبات وبين التطور والتقدم، لتمد العالم بمبدأ يؤمِّن نموه».

والإسلام يقدم للعالم هذه الفلسفة الكفيلة بالتوازن بين الثبات والتطور معاً.

وفي الواقع إن المتأمل الدارس للحياة يجد أنها ليست جموداً بحتاً لا يقبل التطور؛ ولا تغيراً شاملاً بمعنى كلمة التغير.

فالأمور الرئيسية في الحياة تبقى على حالها ثابتة، مهما طالت بها الآماد أو اختلفت بها الأجواء، إلا أن طرق معالجة هذه الأمور ووسائل إيجاد الحلول لما يطرأ من مشاكل هي التي تتأثر وتتغير مع مرور الزمان.

والإسلام كفيل بتنظيم حالتي الثبات والتطور، فالقرآن الكريم

(*) رواه البزار عن أنس.

والسنة المطهرة فيهما الهداية الثابتة الخالدة، وذلك من فضل الله رب العالمين.

هذه التعاليم الهادية هي من عند الله الذي لا يحده زمان أو مكان وهي بذلك، سواء ما تعلق منها بالفرد أو بالجماعة، متناسقة تماماً مع خواص الطبيعة التي خلقها الله رب العالمين. . وهي بذلك أيضاً أزلية باقية، غير أن الخالق ـ جل شأنه ـ رسم لنا المبادىء والأصول، وترك للإنسان الحرية في كيفية تطبيقها في العصور المختلفة، بما يتفق مع الروح والظروف القائمة في كل منها. فكان «الاجتهاد» هو السبيل التي يترسمها رجال كل عصر لتطبيق هذه الهداية الربانية لمواجهة مشاكل الحياة في زمانهم. فتعاليم الهداية الأساسية ثابتة لا تتغير، أما وسائل تطبيقها فيمكن أن تتغير طبقاً لاحتياجات الحياة في كل عصر من العصور، وفي هذا ما يفسر لنا السر في بقاء تعاليم الإسلام ناضرة مع تجدد اليوم والغد.

الخاصة السابعة: تعاليم الاسلام سجل لا يتطرق إليها التحريف:

وأخيراً هناك الحقيقة الهامة الثابتة، تلك أن تعاليم الإسلام في القرآن الكريم باقية على أصولها ونصوصها كما أنزلها الله رب العالمين، يجد الناس فيها الهدى كما أراده الله، دون تحريف أو تبديل في قليل أو كثير. فالقرآن ـ كما أنزله الله ـ قد بقي بين ظهرانينا قرابة أربعة عشر قرناً ولا زالت كلمات الله هي هي على هيئتها التي أنزلت عليها.

وحياة رسول الإسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ بتفاصيلها، وتعاليمه على أصولها، سجلها التاريخ في دقة لم يعترِها أدنى تحريف، وهي قائمة بين أيدينا؛ ولقد تواترت أحاديثه وسيرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ عبر القرون

بمنتهى الدقة وصدق التحري والأمانة، وهذه حقيقة واضحة جلية يقرها حتى الناقدون من غير المسلمين.

يقول البروفسور رينولد أ. نيكلسون Prof. Reynold A. Nicholson في كتابه (التاريخ الأدبي للعرب - ص ١٤٣):

«القرآن وثيقة إلهية رائعة توضح بدقة سر تصرفات محمد في جميع أحداث حياته، حتى إننا لنجد فيه مادة فريدة لا تقبل الشك أو الجدل، نستطيع من خلالها أن نتتبَّع سير الإسلام منذ نشأته وظهوره في تاريخه المبكر، وهذا ما لا تجد له مثيلاً في البوذية أو المسيحية أو أي من الأديان القديمة».

هذه بعض الملامح الفريدة في الإسلام وهي تؤكد وتبرهن أنه الدين الأكمل للإنسان وأن المستقبل لهذا الدين.

وقد بهرت طبيعة هذا الدين مئات الألوف من البشر في الماضي وفي الحاضر فآمنوا بأنه دين الحق وأنه الطريق المستقيم الذي يجب أن تسلكه البشرية، وسيظل محتفظاً بكل خواصه ما بقي الزمان.

وكل من أوتي قلباً سليماً وحنيناً إلى الحق سيقول دائماً ويردد: «أشهد أنه لا معبود إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله».

وفيما يلي من هذا الكتاب بيان لانطباعات بعض هؤلاء الذين بهرهم الحق يكشفون فيها قصة إيمانهم بالإسلام واعتناقهم إياه.

القسم الأول

رجال دولة ورجال سياسة

القسم الأول

رجال دولة ورجال سياسة

الحاج اللورد هدلي الفاروق (انجلترا)

Al-Haj Lord Headly Al-Farooq

من المحتمل أن يتصور بعض أصدقائي أنني وقعت تحت تأثير المسلمين، ولكن ذلك ليس هو السبب في تحولي إلى الإسلام لأن اقتناعي كان حصيلة لدراسة دامت سنوات عديدة.

لم تبدأ مناقشاتي مع المسلمين المثقفين إلا منذ أسابيع قليلة، وكم كان اغتباطي وانشراح صدري عندما وجدت أن نظرياتي في مقدماتها ونتائجها كانت تتفق تماماً مع تعاليم الإسلام.

واختيار الإنسان لهذا الدين ـ كما يقرر القرآن ـ يجب أن يكون نابعاً عن اقتناع شخصي ذاتي، ولا يمكن أن يكون بالإكراه أبدًا؛ وقد كان المسيح يقصد نفس المعنى عندما قال لحوارييه ما معناه: «وإن أحدًا لن يتقبلكم أو يصغي إليكم عندما ترحلون» انجليل القديس مرقس الإصحاح ٢).

لقد عرفت حالات كثيرة عن البروتستانت الغيورين الذين رأوا أن واجبهم يحتم عليهم زيارة الديار الكاثوليكية الرومانية للتبشير بعقيدتهم بين سكانها وتحويلهم عن عقيدتهم، ولا شك أن مثل هذا السلوكِ الشائكِ غير القويم، تمقته النفس، وقد طالما أدى إلى الشعور بالاستنكار وإلى إثارة أحقاد ومنازعات قد تسيء إلى كرامة الدين. ويؤسفني أن أرى كثيراً من البعثات التبشيرية المسيحية تتبع نفس هذه الأساليب مع إخوانهم

المسلمين. وإني لا أستطيع أن أجد مبررًا لهؤلاء الذين يحاولون التبشير بين قوم هم في الواقع أقربُ منهم إلى تعاليم المسيحية الحقيقية، وأقول: أقرب إلى تعاليم المسيحية وأعني ما أقول، لأن البر والسماحة وسعة الأفق العقلي في عقيدة الإسلام، أقرب إلى ما دعا إليه المسيح من تلك العقائد المستحدثة الضيقة المتزمتة في المذاهب المسيحية المختلفة.

ولنضرب لذلك مثلاً بالمذهب الأثناسي الذي يعالج عقيدة «التثليث» في أسلوب بالغ الاضطراب؛ وهذا المذهب مع ما له من أهمية ومكانة، عندما يتناول إحدى المعتقدات الرئيسية في المذاهب المسيحية، فهو ينص بكل وضوح على أنه يمثل العقيدة الكاثوليكية، وأننا إذا لم نؤمن به فسوف نهلك إلى أبد الآبدين؛ وأننا مطالبون بالاعتقاد بالتثليث إذا أردنا لأنفسنا النجاة، وبتعبير آخر إننا يجب أن نؤمن برب ندعوه أنه رحيم عظيم، ثم نعود على الفور لنصمه بالظلم والقسوة، تماماً كما نصم أقسى العتاة الجبارين من البشر وحاش لله ـ سبحانه ـ أن يحدد صفاته تصور عبد ضعيف يعتقد بمبدأ التثليث.

ومثال آخر يتعلق بافتقار المسيحية إلى البر والمحبة، فقد تلقيت عن موضوع اتجاهي إلى الإسلام، رسالة يقول لي مرسلها: إنني إذا لم أؤمن بألوهية المسيح فلن تكتب لي النجاة؛ ولم تكن مسألة ألوهية المسيح يومًا ما، لتنال أهمية مسألة أخرى في نظري وهي «هل بلغ المسيح رسالة الله إلى الجنس البشري أو لا؟». ولو كان عندي شك في هذه المسألة لأقلق ذلك خاطري ولكن حمدًا لله لم تساورني فيها الشكوك؛ وأسأل الله أن يظل يقيني بالنسبة للمسيح وبما أوحي إليه من تعاليم، ثابتًا قويًا كيقين أي مسلم. وأعتقد، كما سبق لي أن ذكرت مرارًا، أن الإسلام والمسيحية التي دعا إليها المسيح نفسه، دينان شقيقان.

وفي زمـانـنـا هذا بدأ الناس ينحدرون إلى عدم الإيمان بالله عندما يطلب إليهم الإيمان بمذاهب ضيقة متزمتة ؛ وفي نفس الوقت هناك ولا شك تعطش إلى دين يخاطب العقل ويناسب العواطف البشرية ؛ وإنني لأتساءل هل سمع أحد برجل مسلم انحدر من إيمانه إلى الإلحاد؟ ربما كانت هناك بعض الحالات الفردية، ولكنني أنظر إليها جميعًا بالشك والحذر.

إنني أعتقد أن هناك آلافًا عديدة من الرجال والنساء مسلمون في ذات قلوبهم، ولكن يمنعهم من إعلان هذه الحقيقة مراعاتهم للعرف، وخوفهم من النقد والاتهام ورغبتهم في تلافي ما يتبع إعلان هذا التحول من مشاكل.

لقد أقدمت على الإعلان بأنني اعتنقت الإسلام مع ثقتي التامة بأن كثيرًا من أصدقائي وقرابتي ينظرون لي الآن كأنني ضللت سواء السبيل في عرفهم إلى حد لا يجدي معه نصح أو ينفع معه دعاء.

ومن ذلك فإن عقيدتي هي هي كما كانت منذ عشرين عامًا ؛ إنما كان إعلاني لها أخيرًا على الملأ، هو ما أفقدني حسن تقديرهم.

لقـد بينت في إيجـاز بعض الدوافع التي حدت بي إلى اتباع تعاليم الإسلام، وبينت أنني أعتبر نفسي بهذه الخطوة نفسها أصبحت أكثر إيمانًا بالمسيح من قبل ذلك. وإني لأهيب بغيري أن ينهج نفس المنهج الذي أعتقد مخلصاً أنه الصراط المستقيم، الذي يجلب السعادة لهؤلاء الذين يرون فيما أقدمت عليه خطوة إلى الأمام، وليس فيها على أية حال معنى العداء للمسيحية.

تعريف باللورد هدلي :

اللورد هدلي الفاروق هو رايت أونورابل سير رولاند جورج ألانسون

ولد سنة ١٨٥٥م[٤٠] وكان من أكبر شخصيات الأشراف البريطانيين وكان سياسيًا ومؤلفًا. درس في كامبردج وأصبح شريفًا سنة ١٨٧٧م[٤١]. خدم في الجيش برتبة كابتن وأخيرًا برتبة لفتنانت كولونيل في الفرقة الرابعة المشاة في نورث منستر. كان مهندسًا ومع ذلك فقد كان يتمتع بذوق أدبي ممتاز. وكان يومًا ما محررًا لجريدة «سالبسبوري جورنال». وله مؤلفات عديدة أشهرها Awestern Awakening to Islam (رجل من الغرب يعتنق الإسلام).

وقد أعلن إسلامه في يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٩١٣م[٤٢] وأصبح اسمه الشيخ رحمة الله الفاروق وكان كثير الأسفار وزار الهند سنة ١٩٢٨م[٤٣].

---

(٤٠) يوافق ١٢٧١هـ.

(٤١) يوافق ١٢٩٤هـ.

(٤٢) يوافق ١٣٣١/١٢/١٧هـ.

(٤٣) يوافق ١٣٤٦هـ.

محمد أسد (النمسا)

Muhammad Asad

سياسي وصحفي ومؤلف

في سنة ١٩٢٢م[٤٤] غادرت موطني النمسا للسفر في رحلة إلى أفريقيا وآسيا لأعمل مراسلاً خاصًا لبعض الصحف الأوروبية الكبيرة. ومنذ تلك السنة وأنا أكاد أقضي كل وقتي في بلاد الشرق الإسلامية. وكان اهتمامي بادىء الأمر بشعوب هذه البلاد التي زرتها، هو ما يشعر به الرجل الغريب.

رأيت أول ما رأيت مجتمعًا يختلف في مظهره كل الاختلاف عن المجتمع الأوروبي، وبدأت منذ الوهلة الأولى أحس بميل ينساب في نفسي، ويزداد إلى هذا اللون الهادىء المستقر من فلسفة الحياة، بل أقول الحياة الإنسانية إذا قورنت بالأسلوب الميكانيكي الموسوم بالسرعة في حياة الأوروبيين.

هذا الميل بدأ يوجه شعوري تدريجيًا إلى دراسة أسباب هذا الاختلاف وبدأت أهتم بدراسة التعاليم الدينية في الإسلام، على أنني في ذلك الوقت لم أشعر بدافع قوي يكفي ليجذبني إلى اعتناق الإسلام؛ إلا أنني بدأت أرى صورة حية لمجتمع إنساني متطور يكاد يخلو نظامه من التناقضات الداخلية ويتسم بأوفر قسط من الشعور الأخوي الصحيح.

وقد ظهرت لي حقيقة واضحة ـ مع ذلك ـ هي أن حياة المسلمين اليوم بعيدة كل البعد عن الحياة المثالية التي يمكن أن تحققها لهم تعاليم الإسلام،

---

(٤٤) يوافق ١٣٤٠هـ.

فكل ما كان في الإسلام من قوى دافعة ومن حركة، انقلب بين المسلمين إلى كسل وجمود، وما كان فيه من كرم واستعداد لبذل الروح أضحى بين مسلمي اليوم ضيقًا في الأفق العقلي وحباً للحياة السهلة الوادعة، وقد تملكتني الحيرة عندما رأيت ذلك، ورأيت هذا التناقض العجيب بين ما كان في ماضي المسلمين وبين حاضرهم(٤٥)، فحفزني ذلك إلى زيادة العناية بهذا اللغز الذي رأيته، فحاولت أن أتصور أنني فعلاً أحد هؤلاء الذين تضمهم دائرة الإسلام، ودخلت بذلك في تجربة تصورية بحتة، وسرعان ما تكشف لي الحل الصحيح.

وجدت السبب الوحيد الذي ليس معه سبب آخر للتخلف الاجتماعي والثقافي بين المسلمين، ذلك أنهم بعدوا رويدًا رويدًا عن اتباع تعاليم الإسلام وروحه.. إن مجتمع الإسلام ما زال قائمًا، إلا أنه جسد بغير روح.. والعنصر الذي كان يومًا ما سر قوَّة العالم الإسلامي هو نفسه الذي انتهى به إلى ما هو فيه اليوم من ضعف... لقد بني المجتمع الإسلامي منذ نشأته على أساس من الدين وحده؛ ونتيجة حتمية لضعف هذا الأساس أن يضعف معه الكيان الثقافي، ومن المحتمل أن يكون ذلك سببًا في زواله واختفائه نهائيًّا.

وكلما تكشف لي من قوة تعاليم الإسلام ومن ملاءمتها غير المحدودة للتطبيق الواقعي في الحياة، كلما ازداد عجبي وتساؤلي عن السبب الذي حدا بالمسلمين إلى التخلي عن الالتصاق الكامل بهذه التعاليم وممارستها فعليًا في واقع حياتهم.

---

(٤٥) الصواب: بين ما كان في ماضي المسلمين وحاضرهم. انظر التعليق رقم (٥).

ناقشت هذا الأمر مع كثير من مفكري المسلمين في جميع الدول الإسلامية تقريبًا ما بين صحراء ليبيا وجبال البامير في وسط آسيا وما بين البسفور والبحر العربي، حتى أصبح شغلي الشاغل الذي استولى على فكري، وطغى على كل اهتمام آخر لي في محيط العالم الإسلامي.

وازداد يقيني فيما لهذا البحث من أهمية قصوى حتى أصبحت ـ وأنا غير المسلم ـ أدافع عن الإسلام أمام المسلمين مستنكرًا إهمالهم وتراخيهم؛ وكنت لا ألقي بالًا إلى هذا الاهتمام المتزايد في قرارة نفسي حتى كان ذلك اليوم، وأذكر أنه كان في خريف عام ١٩٢٥م[٤٦]، وفي جبال أفغانستان، حين حدثني شاب كان في ذلك الوقت حاكمًا لإحدى المناطق، إذ فاجأني بقوله: «ولكنك الآن مسلم دون أن تدري»؛ فدهشتني هذه الكلمات وظللت صامتًا.

وعندما عدت إلى أوربا عام ١٩٢٦م[٤٧]، رأيت أن النتيجة المنطقية لسلوكي وفكري هي أن أعتنق الإسلام.

هذه هي الظروف التي انتهت بي إلى إعلان إسلامي، ومنذ ذلك الحين تكرر توجيه السؤال إليَّ: «لماذا اعتنقت الإسلام؟ وما هو الشيء الذي أغراك فيه على التحديد؟»، ويجب أن أعترف أنني لا أستطيع تحديد الجواب المقنع. لم يكن هناك شيء بعينه من تعاليم الإسلام هو الذي أخذ بمجامع قلبي. إنه المجموع المتكامل المتناسب والمتماسك من هذه التعاليم الروحية من جانب، والتي ترسم برنامجًا عمليًا للحياة من الجانب الآخر.

---

(٤٦) يوافق منتصف ربيع الأول ١٣٤٤هـ.

(٤٧) يوافق ١٣٤٥هـ.

لم أكن لأستطيع عندئذ ـ وحتى هذه اللحظة ـ أن أحدد أي ناحية في الإسلام كان لها في نفسي وقع وأثر أكثر من غيرها؛ فالإسلام يبدو لي وكأنه بناء محكم في هندسته وتصميمه، كل أجزائه متناسبة ليكمل بعضها بعضًا ويشد بعضها بعضًا، لا زيادة فيه ولا نقصان، ويؤدي بذلك إلى نتيجة واحدة هي التوازن الكامل والاستقرار الشامل.

وربما كان شعوري بأن كل ما في الإسلام من نظريات وتعاليم موضوع في وضع محكم مناسب، هو أكثر الأمور تأثيرًا في نفسي؛ ربما كان الأمر كذلك، وربما كانت هناك مشاعر أخرى كثيرة، من العسير عليَّ اليوم أن أتناولها بالتحليل، ولكن على أي حال فإن هذا موضوع يتعلق بحب نشأ في قلبي لهذا الدين، والحب مزيج من عوامل كثيرة، من رغباتنا وإحساسنا بالوحدة، من أهدافنا السامية وقصورنا ومن قوتنا وضعفنا، وهكذا كان الحال معي، لقد تسلل الإسلام إلى صميم قلبي دون أن أحسه كما يتسلل اللص إلى المنزل في الليل، ولكنه ليس كاللص يدخل ويخرج؛ إنه دخل قلبي ليبقى فيه إلى الأبد، ومنذ ذلك الحين، وأنا أبذل قصارى جهدي لأتعلم كل ما يمكنني معرفته عن الإسلام. درست القرآن وسنة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ درست لغة الإسلام وتاريخه، وقدرًا كبيرًا مما كتب عنه وما كتب ضده... قضيت أكثر من خمس سنوات في الحجاز ونجد وأغلبها في المدينة، لكي أندمج في البيئة الأصيلة التي نشأت فيها دعوة الدين الذي جاء به «النبي العربي». والحجاز ملتقى المسلمين من مختلف الأقطار، فكان هذا مما يسَّر لي مقارنة وجهات النظر الدينية والاجتماعية السائدة في العالم الإسلامي في عهدنا الحاضر.

هذه الدراسات والمقارنات ركَّزت في نفسي الاقتناع بأن الإسلام

ـ رغم ما يبدو عليه من ضعف ناشىء عما أصاب المسلمين من الوهن ـ ما يزال أعظم قوة دافعة عرفتها البشرية على الإطلاق، ومنذ ذلك الحين، تركز اهتمامي حول موضوع بعث هذا الدين ليعيد أمجاده.

تعريف بمحمد أسد:

كان اسمه ليوبولد وايس، ولد في ليفو بالنمسا (تتبع الآن بولندا) سنة ١٩٠٠م[٤٨]، ولما بلغ عمره اثنين وعشرين عامًا زار الشرق الأوسط ثم أصبح بعد ذلك مراسلًا أجنبيًا مرموقًا لجريدة «فرانكفورتر زينتج» وبعد إسلامه تنقل في العالم الإسلامي وعمل فيه من شمال إفريقيا إلى أفغانستان شرقًا. وبعد سنوات من الانقطاع لدراسة الإسلام صار علمًا من أعلام الإسلام في العصر الحديث. وبعد قيام باكستان اشتغل مديرًا لدائرة تجديد الإسلام في البنجاب الغربية، ثم صار فيها بعد مندوبًا مناوبًا لباكستان في الأمم المتحدة، وله كتابان هامان هما: «الإسلام على مفترق الطرق»، «الطريق إلى مكة»، وقد أصدر أيضًا جريدة شهرية اسمها «عرفات». وهو الآن يعمل على إنجاز ترجمة لمعاني القرآن باللغة الإنجليزية.

---

(٤٨) يوافق ١٣١٨هـ.

سير عبدالله ارشبيولد هاملتون (انجلترا)

Sir Abdullah Archibald Hamilton

رجل دولة وبارون

ما كدت أبلغ سن الإدراك والتمييز، حتى راود قلبي جمال الإسلام وبساطته ونقاؤه. ورغم أنني ولدت ونشأت مسيحيًّا، فإنني لم أستطع مطلقًا أن أؤمن بالعقائد التي تسلم بها الكنيسة وتفرضها، وكنت دائمًا أجعل العقل والإدراك فوق الإيمان الأعمى.

ومع مرور الزمن أردت أن أحيا وفق مشيئة خالقي، لكنني وجدت كلًّا من كنيسة روما والكنيسة الإنجليزية، لا يقدمان لي ما يروي غلتي، وما كان اعتناقي للإسلام إلا تلبية لنداء ضميري، ومنذ تلك اللحظة بدأت أشعر أنني أصبحت أقرب إلى الإنسانية الصحيحة.

ليس ثمة دين يلقى من عداء الجهلة وأحقاد المغرضين، كما يلقى دين الإسلام؛ ويا ليت الناس يعلمون!! إنه الدين الذي يتعاطف فيه الأقوياء مع الضعفاء والأغنياء مع الفقراء؛ فالعالم الآن ينقسم إلى ثلاث فئات؛ أولاها هي هؤلاء الذين أنعم الله عليهم من فضله فمنحهم الثروة ووفرة الممتلكات، والثانية هي هؤلاء الذين يكدحون للحصول على ما يقيم حياتهم، والثالثة هي هذا الجيش الجرار من الذين لا يجدون عملًا، أو هؤلاء الذين تلفظهم المجتمعات، بغير خطأ منهم أو تقصير، وإنما لظروف خارجة عن إرادتهم.

وهنا أيضًا نرى الإسلام ينظر بالاعتبار إلى تفاوت القدرات الشخصية ذلك أنه نظام يبني ولا يهدم، ولنضرب لذلك مثل الرجل الغني

الذي يملك الأرض ولا يحتاج إلى زراعتها، فلا يزرعها إلى أمد، فإن هذه الملكية الخاصة تنتقل تلقائيًا إلى الملكية العامة أو ما يسمونه المنفعة العامة، وطبقًا لتعاليم الإسلام تنتقل ملكيتها إلى أول من يتولى زراعتها.

ويحرِّم الإسلام المقامرة على المسلمين أو الانغماس في كل ما يعتمد على الحظ والصدفة؛ ويحرم الخمور[٤٩]؛ ويحرم الربا[٥٠] الذي طالما كان سببًا في كثير من المآسي التي عانى منها الجنس البشري. وعلى هذا فإننا نجد أنه في ظل الإسلام لا تترك لفرد حرية استغلال من قد يكون أقل منه حظًّا أو نصيبًا في الحياة.

نحن معشر المسلمين لا نؤمن بالجبرية والقدرية ولكننا نؤمن فقط بموازين للأعمال قررها الله ـ سبحانه ـ وجعلها ثابتة، ووهبنا من الإدراك ما يعين على مراعاتها. والإيمان بلا تنفيذ لا قيمة له في نظرنا، إذ هو في ذاته لا يُغني شيئًا، ما لم تكن حياتنا تطبيقًا عمليًا لحقيقته. نحن نؤمن بمسئوليتنا الشخصية عن كل أعمالنا في هذه الدنيا وبمحاسبتنا عليها في الحياة الأخرى؛ وكل فرد سيؤتى كتابه، ولا تزر وازرة وزر أخرى.

والإسلام يقرر مبدأ خلق الإنسان على الفطرة بغير خطيئة، ويؤكد أن الجنس البشري من ذكر وأنثى خُلقوا من نفس واحدة[٥١]، وأن روحهم

---

(٤٩) يقول سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾. المائدة (٩٠).

(٥٠) يقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين. فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تَظْلمون ولا تُظْلمون﴾. البقرة (٢٧٨ ـ ٢٧٩).

(٥١) يقول سبحانه: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبًا﴾. (النساء (١).

متكـافئة، وأن الله آتاهم قدرات متساوية ليسلك كل فرد سبيله كما يشاء عقليًا وروحيًا وخلقيًا.

وما أظنني بحاجة إلى الحديث طويلاً عن الأخوة الشاملة العالمية بين البشر جميعًا، كما قررها الإسلام، فهذه حقيقة ثابتة مسلَّم بها، إذ لا فرق بين سيد ومسود، أو بين مالك أو أجير أو بين غني وفقير؛ بل الكل فيه سواسية.

لقد كنت دائمًا أرى في إخواني المسلمين عنوانًا للصدق والشرف وكنت دائمًا أثق في كلماتهم ووعودهم، وكانوا يشملونني بالمعاملة الطيبة الكريمة، باعتباري إنسانًا وأخًا، وغمروني بكرمهم، وما شعرت يومًا بالاغتراب وأنا بين ظهرانيهم.

وأخيرًا أود أن أقول: إنه في الوقت الذي يحدد الإسلام للبشرية كل تصرفاتها في مسيرتها اليومية مدى الحياة، فإن ما يسمى اليوم بالمسيحية تعلِّم أتباعها نظريًا بطريق غير مباشر، وعمليًا بممارسة تعاليمها، أن يصلوا لله أيام الآحاد وأن يفتكوا بمخلوقاته باقي أيام الأسبوع.

تعريف بالسير عبدالله ارشبيولد هاملتون:

كان قبـل إسـلامـه يسمى السـير شارلـز إدوارد أرشيبـولـد واتكنز هاملتون. اعتنق الإسلام يوم ٢٠ ديسمبر سنة **١٩٢٣**م[٥٢]. وهو بريطاني مرموق ومن رجال الدولة، نال البارونية من درجات مختلفة.

ولـد في ١٠ ديسمـبر سنة ١٨٧٦م[٥٣]، كان ملازمًا في قوة الدفاع البريطانية، كما كان رئيسًا لجمعية المحافظين في سلزي.

---

(٥٢) يوافق ١٢/٥/١٣٤٢هـ.

(٥٣) يوافق ٢٤/١١/١٢٩٣هـ.

محمد اسكندر راسيل وب (الولايات المتحدة)

Mohammad Alexander Russel Webb

سياسي ومؤلف وصحفي

تسألني لماذا - وأنا الأمريكي المولود في بلد يدين اسميًا بالمسيحية ونشأت في بيئة تقطر مسيحية أو على الأصح تتشدق بالمسيحية الأرثوذكسية على منابر الوعظ - لماذا تخيرت الإسلام هاديًا لي في حياتي؟

وأستطيع الإجابة على الفور وأنا صادق فيها أقول، إنني اتخذت هذا الدين سبيلاً لحياتي، لأنني - بعد دراسات طويلة - وجدته خير الأديان وأنه هو الوحيد بينها الذي يلبي الاحتياجات الروحية للجنس البشري.

وأود أن أقرر هنا بأنني عندما كنت صبيًا كانت تنقصني الحماسة الدينية التي تبدو على كثير من الصبيان بالفطرة؛ ولما بلغت العشرين عامًا وأصبحت حر التصرف في نفسي، ضاق صدري بجمود الكنيسة وكآبتها فهجرتها إلى غير رجعة.

وكنت لحسن حظي ذا عقلية فاحصة أميل إلى أن أتحرى الأمور وأن أجد لكل شيء علة وسببًا، ووجدت أن الناس بين علمانيين ورجال دين، عجزوا عن إقناعي بوسائل عقلية ومنطقية بحقيقة هذه العقيدة ولكن كلا من الفريقين كانوا يقولون إن هذه أمور غامضة وخفية أو يقولون إنها مسائل فوق مستوى إدراكي.

ومنذ أحد عشر عامًا، بدأت أهتم بدراسة الديانات الشرقية وقرأت ما كتبه مل Mill وكانت Kant ولوك Locke وهيجل Hegel وهكسلي Huxley واستمعت إلى محاضرات وأحاديث لكثيرين غيرهم من الكتاب والمفكرين

يتحدثون كأنهم أوتوا الحكمة، عن الذرة والخلية، ولكن أحدًا من هؤلاء جميعًا لم يستطع أن يحدثنا عن الروح في ماضيها أو مآلها بعد الموت.

لقد تحدثت كثيرًا عن نفسي، وإنما قصدت إلى ذلك لأوضح أن اعتناقي للإسلام لم يكن عن ضلالة أو نزوة خاطئة، أو انقياد أعمى، أو اندفاع عاطفي، ولكن كان ذلك وليد دراسة دقيقة فاحصة أمينة غير متأثرة برأي أو ميل سابق، ونتيجة لرغبة وعزم على معرفة الحقيقة.

إن روح العقيدة الإسلامية الحقة، تكمن في الخضوع لإرادة الله؛ وحجر الزاوية فيها الصلاة. والإسلام دعوة إلى الأخوة العالمية وإلى المحبة بين العالمين جميعاً، وإلى الخير للناس كافة، ويتطلب طهارة العقول وطهارة العمل وطهارة الحديث ويدعو إلى طهارة البدن ونظافته.

إن هذا الدين ـ بين جميع الأديان التي عرفها العالم ـ هو ولا شك أبسطها وهو في نفس الوقت أقدرها على السمو بالبشرية.

تعريف بمحمد اسكندر رسل وب:

ولد سنة ١٨٤٦م[٥٤] في هدسون بمقاطعة كولومبيا. درس في هدسون وفي نيويورك وعرف بكتابته للقصة القصيرة والمقالة، ثم اشتغل بالصحافة وأصبح رئيس تحرير مجلتي: «سانت جوزيف جازيت» و«ميسوري ريبليكان»، وفي سنة ١٨٨٧م[٥٥] عيِّن قنصلاً للولايات المتحدة في مانيلا بالفليبين. وفي تلك الفترة درس الإسلام ودخل في زمرة المسلمين.

---

(٥٤) يوافق ١٢٦٢هـ.

(٥٥) يوافق ١٣٠٤هـ.

وبعد إسلامه طاف بالعالم الإسلامي ووهب بقية حياته للتبشير بهذا الدين، وكان رئيسًا لجماعة الدعوة الإسلامية في الولايات المتحدة. وقد توفي في أول أكتوبر سنة ١٩١٦م[٥٦].

(٥٦) يوافق ٤/١٢/١٣٣٤هـ.

السير جلال الدين لودربرنتون (انجلترا)

Sir Jalauddin Louder Brunton

من رجال الدولة وبارون

إنني جد سعيد لأن تتاح لي هذه الفرصة لأقص في كلمات قليلة قصة اعتناقي للإسلام؛ فقد ولدت ونشأت بين أبوين مسيحيين، وولعت بدراسة اللاهوت وأنا في سن مبكرة، وارتبطت بالكنيسة الإنجليزية وأوليت أعمال التبشير اهتمامي، دون أن أسهم فيها إيجابيًّا.

ومنذ سنوات بدأت أهتم بمبدأ «العذاب الخالد» لجميع البشر ما عدا نفر من المصطفين الأخيار، فأصابتني الحيرة والانزعاج وأصبحت أقرب ما أكون إلى الشك في هذه العقيدة. وتصورت أن الرب الذي يخلق الناس بقدرته وهو يعلم مسبقًا في الغيب أن مآلهم ولا شك إلى «العذاب الخالد» تصورت أن هذا الرب لا يمكن أن يكون حكيمًا ولا عادلًا ولا عطوفًا، وأنه في هذه الحالة يكون أدنى مستوى من كثير من الناس.

ورغم ذلك فقد ظل يقيني في وجود الرب ثابتًا، ولكنني لم أقبل التسليم بالعقيدة المتواترة بأن الله قد تجلى للناس بذاته، ومن ثم اتجهت إلى دراسة الأديان الأخرى. فلم يزدني ذلك إلا خيبة أمل وحيرة.

ولكني مع ذلك كنت أزداد رغبة في عبادة الرب الحقيقي وسلوك سبيله.

يقولون: إن العقائد المسيحية تستند إلى الإنجيل، ولكنني وجدتها متنافرة متضاربة، فهل من الممكن أن يكون الإنجيل وتعاليم المسيح قد أصابها التحريف؟ عدت ثانيًا إلى الإنجيل أوليه دراسة دقيقة فشعرت أن

هناك نقصًا لم أستطع تحديده.

عندئذ قررت أن أبحث بنفسي متجاهلاً عقائد الناس، وبدأت أدعو إلى أن لكل بشر روحًا، وأن هناك قوة خفية باقية خالدة، وأن من يقترف إثمًا أو سيئة يلق جزاءه في هذه الدنيا(٥٧) وفي الحياة الأخرى، وأن الرب برحمته وعفوه يقبل التوبة من عباده المخطئين إذا كانوا حقًا نادمين على ما قدمت أيديهم(٥٨).

أما وقد أيقنت بضرورة البحث عن الحقيقة مهما طال المدى في هذه السبيل، ومهما كان الجهد، حتى أصل إلى «الدر الثمين»، فقد فرَّغتُ كل وقتي لدراسة الإسلام، الذي وجدت فيه عندئذ ما ملك عليَّ نفسي؛ وهناك في ركن منزو في قرية إكرا Echhra كرست كل وقتي وجهدي في إقامة أمر الله العظيم بين أدنى طبقات المجتمع، راغبًا بكل حماس وإخلاص أن أرتقي بهم إلى درجة معرفة الله، الله الحق الذي لا رب سواه، ولأنشر بينهم مشاعر الأخوة والطهارة.

لا أود أن أتحدث عن مدى الجهود التي بذلتها بين هؤلاء الناس ولا عما تحملت من تضحيات، ولا عن العقبات الجسام التي اعترضت سبيلي. لقد كنت أسير وليس لي سوى هدف واحد هو خير هذه الجماعات ماديًا وروحيًا.

---

(٥٧) يقول سبحانه: ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءًا يجز به ولا يجد له من دون الله وليًا ولا نصيرًا﴾. النساء (١٢٣).

(٥٨) يقول جلَّ وعلا: ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون﴾. الشورى (٢٥).

ثم اتجهت بعد ذلك إلى دراسة سيرة النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم أكن أعلم إلا القليل النادر مما أدى للبشرية، ولكنني علمت أو حسست أن المسيحيين أجمعوا ـ على قلب رجل واحد ـ على إنكار هذا النبي العظيم الذي ظهر في الجزيرة العربية، وعندئذ قررت أن أدرس الأمر بغير تعصب ولا ضغينة، ولم يمض بي طويل زمان حتى أدركت أنه من المستحيل أن يتطرق الشك إلى جدية وصدق دعوته إلى الحق وإلى الله.

شعرت أنه لا خطيئة أكبر من إنكار هذا «الرجل الرباني»، بعد أن درست ما قدمه للإنسانية. هؤلاء الأقوام القساة عبَّاد الأصنام الذين انغمسوا في الجريمة والرجس والقذارة والعري، علمهم كيف يلبسون الثياب ونقلهم من الرجس إلى النظافة والطهر، وبعث في نفوسهم الإباء والاعتداد بالنفس، وأصبح الكرم عندهم سجية واجبة من أصول دينهم، فحطموا أصنامهم وتوجهوا بالعبادة إلى الله المعبود بحق والواحد بغير شريك، وجعل من المسلمين أقوى مجتمع رفيع يعاف الدنايا عرفه العالم، وإني غير مستطيع أن أحصي ما قدمه هذا الرسول وما أداه من جليل الأعمال؛ وأمام كل هذا الفضل وهذا الصفاء، أليس من المحزن الأليم حقًّا أن يقدح في شأنه المسيحيون؟

فكرت كثيرًا وتأملت عميقًا، وفي لحظة من لحظات التأمل زارني صديق هندي يدعى «ميان أمير الدين»، وكان عجبًا أن أثارت هذه الزيارة في نفسي انفعالًا شديدًا، فإذا هو يلهب روحي؛ تدبرت الأمر مليًّا، وناقشت العقائد المسيحية في وقتنا هذا واحدة تلو الأخرى، فانتهيت إلى تعظيم الإسلام واقتنعت وآمنت بأنه دين الحق والصدق، دين اليسر والتسامح، دين الإخلاص في الحب والأخوة.

لا أعتقد أن العمر سيمتد بي طويلاً في هذه الدنيا، على أنني سأكرس كل ما بقي لي منه في خدمة الإسلام.

تعريف: سير جلال الدين لودربرنتون:

درس في جامعـة أكسفـورد وكان من أشراف الإنجليز وكان يتمتع بشهرة عظيمة.

محمد أمان هوبوهم (ألمانيا)

Mohammad Aman Hobohm

سياسي ومبشر وباحث اجتماعي

لماذا يعتنق الغربيون الإسلام؟

هناك أسباب كثيرة تدعو لذلك. وفي مقدمة هذه الأسباب أن للحق دائمًا قوته؛ والعقائد الأساسية في الإسلام كلها تتفق مع العقل وطبيعة البشر، ولها من الجلال والإغراء ما لا يملك معه الباحث الأمين عن الحقيقة إلا أن يستجيب لها.

خذ مثلاً عقيدة التوحيد، وانظر كيف ترتفع بكرامة الإنسان وكيف تحرر عقولنا من الخضوع للخرافات، وكيف أنها تلقائيًا تنتهي إلى المساواة بين الناس، لأن خالقهم واحد وهم جميعًا عباد لهذا الإله الخالق.

والإيمان بالله، عند الألمان بصفة خاصة، مصدر للإلهام، ومصدر للشجاعة التي لا يتطرق إليها الخوف ومصدر للشعور بالأمن والطمأنينة، والإيمان بالحياة الأخرى بعد الموت يغير نظرتنا إلى الحياة، فلا تصبح هذه الحياة الدنيا كل همنا، ونوجه قسطًا كبيرًا من نشاطنا إلى نيل السعادة في الحياة الآخرة.

والإيمان بيوم الحساب يدعو الإنسان إلى الإقلاع عن السيئات، لأن الحسنات وحدها هي السبيل إلى النعيم المقيم، في الوقت الذي لا نجني فيه من السيئات إلا متاعًا وعرضًا زائلاً في هذه الدنيا.

والإيمان بأن كل امرىء مجزيٌّ لا محالة بعمله محاسب أمام مالك الملك؛ العادل العليم بكل شيء، والذي لا يضيع عنده مثقال ذرة من الخير

أو الشر[٥٩]، هذا الإيمان يدعونا إلى التفكير مرات ومرات قبل اقتراف الآثام، ومما لا شك فيه أن هذا الوازع من ضمير الإنسان أقوى أثرًا من كل قوة بوليسية في العالم.

شيء آخر يجذب غير المسلمين إلى الإسلام، ذلك هو تأكيده مبدأ التسامح؛ والصلوات اليومية تعلم الناس المواظبة؛ كما أن شهر الصوم رياضة تعود الإنسان على ضبط النفس والسيطرة عليها؛ ومما لا ريب فيه أن المواظبة وضبط النفس صفتان من أبرز صفات الرجل الصالح والرجل العظيم.

وهنا يأتي الدور العظيم الذي حققه الإسلام، فهو الدين الوحيد الذي استطاع أن يغرس في نفوس من اتبعوه، الشعور بمراعاة حدود الآداب والأخلاق، دونما حاجة إلى سلطان قاهر غير ضمائرهم؛ لأن المسلم يؤمن أنه حيثما كان فهو في دائرة رقابة ربه[٦٠]، وفي هذا ما يرده عن ارتكاب المعاصي.

وبما أن الإنسان بطبيعته مفطور على حب الخير فإن الإسلام يقدم للناس ـ فوق ما يقدم ـ سكينة الضمير وهدوء البال؛ وهذا ما لا وجود له البتة في حياة المجتمع الغربي في وقتنا الحاضر.

---

(٥٩) يقول سبحانه: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره. ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره﴾. الزلزلة (٧ ـ ٨).

(٦٠) في حديث جبريل الطويل الذي رواه مسلم، سأل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن الإحسان فقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

لقــد عشت في ظل نظم مختلفــة، ودرست كثيرًا من النـظريات والفلسفات، فانتهيت إلى أن الإسلام لا يدانيه في كماله أيٌّ من هذه النظم.

إن للشيوعية مظاهـرهـا الخـلابـة، وكذلك الشأنُ في الديمقراطية العلمانية، وفي النـازية، ولكن ليس في أي منهـا نظام متكامل لحياة طيبة كريمة؛ إنه الإسلام وحده هو الذي يقدم هذا النظام المتكامل، وهذا هو ما يدعو الأخيار إلى اعتناقه.

الإسلام ليس مجموعة نظريات، ولكنه منهج عملي؛ إنه ليس مجرد تنظيم إداري، ولكنه الخضوع المطلق لإرادة الله وتعاليمه.

القسم الثاني

العلماء ورجال الفكر والكتاب

علي سلمان بنوا (فرنسا)

Ali Selman Benoist

دكتور في الطب

أنـا دكتـور في الطب وأنتمي إلى أسرة فرنسية كاثوليكية. وقد كان لاختياري لهذه المهنة أثره في انطباعي بطابع الثقافة العلمية البحتة وهي لا تؤهلني كثيرًا للناحية الروحية.

لا يعني هذا أنني لم أكن أعتقـد في وجـود إلـه، إلا أنني أقصد أن الطقوس الدينية المسيحية عمومًا والكاثوليكية بصفة خاصة، لم تكن لتبعث في نفسي الإحساس بوجوده؛ وعلى ذلك فقد كان شعوري الفطري بوحدانية الله يحول بيني وبين الإيمان بعقيدة التثليث، وبالتالي بعقيدة تأليه عيسى المسيح.

كنت قبل أن أعرف الإسلام مؤمنًا بالقسم الأول من الشهادتين «لا إلـه إلا الله» وبهذه الآيات من القرآن ﴿**قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفوًا أحد**﴾(٦١).

لهذا فإنني أعتبر أن الإيمان بعالم الغيب وما وراء المادة هو الذي جعلني أدين بالإسلام. على أن هناك أسبابًا أخرى حفزتني لذلك أيضًا؛ منها مثلاً، أنني كنت لا أستسيغ دعوى القساوسة الكاثوليك أن من سلطانهم مغفرة ذنـوب البشر نيابـة عن الله؛ ومنهـا أنني لا أصـدق مطلقًـا ذلك الطقس الكاثوليكي عن العشاء الرباني والخبز المقدس، الذي يمثل جسد المسيح

---

(٦١) سورة الإخلاص.

عيسى، ذلـك الـطقس الطوطمي الذي يماثل ما كانت تؤمن به العصور الأولى البـدائية، حيث كانـوا يتخـذون لهم شعـارًا مقدسًا، يحرم عليهم الاقتراب منه، ثم يلتهمون جسد هذا المقدس بعد موته حتى تسري فيهم روحه.

ومما كان يباعد بيني وبين المسيحية، أنها لا تحوي في تعاليمها شيئًا يتعلق بنظافة وطهارة البدن، لاسيما قبل الصلاة، فكان يخيل لي أن في ذلك انتهاكًا لحرمة الرب، لأنه كما خلق لنا الروح فقد خلق لنا الجسد كذلك، وكان حقًّا علينا ألا نهمل أجسادنا.

ونـلاحظ كذلـك أن المسيحية التـزمت الصمت فيما يتعلق بغـرائز الإنسان الفسيولوجية، بينما نرى أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي ينفرد بمراعاة الطبيعة البشرية.

أما مركز الثقل والعامل الرئيسي في اعتناقي للإسلام، فهو القرآن. بدأت قبل أن أسلم، في دراسته بالعقلية الغربية المفكرة النافذة؛ وإني مدين بالشيء الكثير للكتاب العظيم الذي ألفه مستر مالك بن نبي Malek Bnnabi واسمـه «الـظاهرة القرآنية» Le Phenomene Caranique فاقتنعت بأن القرآن كتاب وحي منزل من عند الله.

إن من بين آيات هذه القرآن الذي أوحى الله به منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنًا ما يحمل نفس النظريات التي كشفت عنها أحدث الأبحاث العلمية.

كان هذا كافيًا لاقتناعي وإيماني بالقسم الثاني من الشهادتين «محمد رسول الله».

وهكذا تقدمت يوم ٢٠ فبراير سنة ١٩٥٣م[٦٢] إلى المسجد في باريس وأعلنت إيماني بالإسلام وسجلني مفتي مسجد باريس في سجلات المسلمين وحملت الاسم الإسلامي الجديد «علي سليمان».

إنني أشعر بالغبطة الكاملة في ظل عقيدتي الجديدة وأعلنها مرة أخرى «أشهد أن لا إلـه إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله».

(٦٢) يوافق ٦/٦/١٣٧٢هـ.

دكتور عبدالكريم جيرمانوس (المجر)

Dr. Abdul Karim Germanus

أستاذ الدراسات الشرقية

كان ذلك في عصر يوم مطير وكنت ما أزال في سن المراهقة، عندما كنت أقلب صحائف مجلة مصورة قديمة، تختلط فيها الأحداث الجارية مع قصص الخيال، مع وصف لبعض البلاد النائية؛ بقيت بعض الوقت أقلب الصحائف في غير اكتراث إلى أن وقعت عيني فجأة على صورة لوحة خشبي محفورة استرعت انتباهي، كانت الصورة لبيوت ذات سقوف مستوية تتخللها هنا وهناك قباب مستديرة ترتفع برفق إلى السماء المظلمة التي شق الهلال ظلمتها؛ وعلى أحد هذه السقوف صور لرجال يجلسون في صفوف غير منتظمة مرتدين ملابس غريبة الطراز.

ملكت الصورة عليَّ خيالي، إذ كانت في طابعها تختلف عما تعودنا رؤيته من المناظر في أوربا. كان منظرًا من الشرق، في مكان ما بالشرق العربي، يمثل رجلًا يقص حكايات خلابة على جمهور من المستمعين يتدثرون بالبرانس. كانت الصورة ناطقة حتى تخيلت أنني أستمع إلى صوت الرجل يسلينا بحديثه، وأنني في زمرة المنصتين إليه من العرب على سطح البناء، وأنا الطالب الذي لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره الجالس على كرسي وثير في المجر. ثم أحسست بشوق غلاب لا يقاوم إلى معرفة ذلك النور الذي كان يغالب الظلام في اللوحة.

بدأت أدرس اللغة التركية وسرعان ما لاح لي أن اللغة التركية المكتوبة لا تحتوي إلا على قدر قليل من الكلمات التركية، وأن الشعر التركي يزخر

بالكلمات الفارسية وأن النثر يزخر بالأصول العربية، فحاولت أن أتمكن من هذه اللغات الثلاث حتى أستطيع خوض هذا العالم الروحي الذي نشر هذا الضوء الباهر على أرجاء البشرية.

وفي إجازة صيف كان من حظي أن أسافر إلى البوسنة وهي أقرب بلد شرقي إلى بلادنا. وما كدت أنزل أحد الفنادق حتى سارعت إلى الخروج لمشاهدة المسلمين في واقع حياتهم وكانت لغتهم التركية ما تزال غامضة لي، إذ بدأت معرفتها من خلال الكتابة العربية المعقدة في كتب النحو.

كان الوقت ليلاً، فنزلت إلى الشوارع وكانت خافتة الإضاءة، وسرعان ما وصلت إلى مقهى متواضع يجلس فيه رجلان من أهل البلاد على كرسيين قليلي الارتفاع ويتناولان «الكيف» يرتديان السراويل التقليدية الواسعة، يمسك بها في الوسط حزام عريض مدجج بالخنجر، فكان مظهرهما بما عليهما من لباس غريب، عليه مسحة من الغلظة والشراسة فدخلت المقهى «قهواخان» Kahwekhane بقلب مرتجف وجلست منزويًا في ركن ناء عنهما في هلع ووجل.

نظر إليَّ الرجلان نظرة عجيبة مستطلعة؛ وعندئذ قفزت إلى مخيلتي جميع قصص سفك الدماء التي قرأتها عن تعصب المسلمين في الكتب المتحيزة غير المنصفة، كانا يتهامسان فيما بينهما وكان موضوع همسهم ولا شك هو حضوري غير المتوقع. وفي أوهام الأطفال أدركني الهلع؛ إنهما ولا شك سيوجهان طعنات خنجريهما إلى صدر هذا الكافر الوافد عليهما وتمنيت لو أنني استطعت الخروج والخلاص من هذا المأزق الرهيب، غير أن قواي خانتني فلم أستطع الحراك.

وبعد ثوان قليلة أحضر لي الخادم كأسًا من القهوة يفوح أريجها وأشار إلى الرجلين الرهيبين، فرنوت إليهما بوجه خائف، فألقيا عليَّ السلام في رفق مع ابتسامة مودة رقيقة، وفي تردد، اصطنعت على شفتيَّ المرتجفتين ابتسامة باردة، فقــام هذان العـدوان، كما كنت أتخيلهـما وحضرا إلى منضـدتي، وساورني شعور عجيب! ترى هل يريدان طردي وإخراجي؟ ولكنهما ألقيا إليَّ السـلام للمرة الثانية وجلسا إلى جواري، فجمعت أطراف شجاعتي وخـاطبتهـما في لغة تركية ركيكة، ومع ذلك فقد كان حديثي مثل العصا السحرية، فإذا بي أرى في محيَّاهما عواطف الصداقة والمودة؛ وإذا بي أتلقى منهما دعوة لي إلى منزليهما بدل ما توقعته منهما من عداء، وإذا بهما يفيضان عليَّ مشاعر العطف، فيما كنت أحسبهما سينهالان عليَّ بأسنان الخناجر.

كان هذا هو أول لقاء لي مع المسلمين.

ثم مرت بي سنوات وسنوات في حياة حافلة بالأسفار والدراسات، وكنت مع مرور الزمن تتفتح عيوني على آفاق عجيبة وجديدة.

لقــد زرت كل بلاد أوربـا، ودرست في جامعـة القسـطنـطينية، واستمتعت بمشـاهـدة روائـع الآثار في آسيا الصغرى وسوريا، وتعلمت اللغات التركية والفارسية والعربية، وشغلت منصب أستاذ كرسي الدراسات الإسلامية في جامعة بودابست، وقرأت الأبحاث الجافة الدفينة التي أُلِّفت خلال قرون طويلة في آلاف الصفحات من كتب العلماء، قرأت كل ذلك بعين فاحصة، ومع ذلك ورغم كل ذلك فقد ظلت روحي ظمأى.

لقـد وجـدت في الكتب المختلفـة شعـاعًا هاديًا إلى بعض مراحل

العلم؛ ولكنني كنت مع ذلك تواقًا إلى النعيم المقيم في ظل الحياة الدينية، كان عقلي متخومًا، أما روحي فقد بقيت ظمأى، وكان عليَّ أن أتجرد من كثير مما جمعت من المعلومات لأعود فأومن بها من خلال تجاربي الشخصية، خالصة من الشوائب بصهرها في نار الشوق إلى معرفة الحق، كما يعالج الحديد الخام المنصهر بالتبريد المفاجىء فيصبح صلبًا مرنًا.

وفي ذات ليلة رأيت كأن محمدًا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بلحيته الطويلة المخضبة بالحناء وملابسه البسيطة الأنيقة يفوح منها أريج طيب، تلمع عيناه ببريق قوي مؤثر؛ وخاطبني في صوت عطوف: «لماذا الحيرة، إن الطريق المستقيم أمامك، مأمون ممهد مثل سطح الأرض سر عليه بخطى ثابتة وبقوة الإيمان».

قلت باللغة العربية في هذا الحلم العجيب: «يا رسول الله إن هذا الأمر سهل عليك، وأنت الغالب، وقهرت كل الأعداء، عندما بدأت سبيلك بتوجيه رباني كتب الله لك فيها النصر؛ أما أنا فما زالت أمامي طريق شاقة ومن يدري متى أجد طمأنينتي؟

فنظر إليَّ في صرامة وحزم، وظلَّ لحظة يفكر، ثم عاد يقول في لغة عربية واضحة ترن كل كلمة منه رنين الأجراس الفضية، وكأني بلسانه الشريف الذي استوعب تعاليم ربه، يضغط على صدري حتى خلت صدري يتهشم: ﴿**ألم نجعل الأرض مهادًا. والجبال أوتادًا. وخلقناكم أزواجًا. وجعلنا نومكم سباتًا**﴾[٦٣].

---

(٦٣) النبأ (٥ - ٨).

قلت في حشرجة وقد أجهدني الألم: «إني لا أستطيع النوم، وليس في قدرتي أن أجلو هذه الغـوامض التي تخفيهـا الأستـار الكثيفة، أرشدني يا محمد، أرشدني يا رسول الله».

وانطلق من حلقي صريخ متقطع، كأنما كنت أختنق من ثقل هذا الكـابوس، وكنت أخشى غضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم شعرت كأنما أهوي من علٍ إلى أعماق الأعماق، وفجأة استيقظت من هذه الرؤيا، أتصبب عرقًا، يكاد الدم يجمد في عروقي، وما مني عضو إلا يتنزَّى ألمًا، ثم أحاط بي صمت مثل سكون القبور، وشعرت بالأسى والوحدة.

وفي يوم الجمعة التالية، وقع الحدث العظيم في مسجد الجمعة الكبير في دلهي؛ رجل غريب، شاحب الوجه، وخط الشيب شعره، يشق طريقه مع رجال بارحهم الشباب، بين الجموع المؤمنة التي يزخر بها المسجد.

كنت أرتدي الثياب الهندية وعلى رأسي قلنسوة رامبور، وعلى صدري الأوسمة التركية التي أهداها إليَّ السلاطين السابقون؛ نظر إليَّ المسلمون في دهشة وذهول؛ أخذ جمعنا الصغير طريقه في اتجاه المنبر حيث جلس العلماء وذوو المكانة من الشيوخ فتلقوني بالسلام في صوت مرتفع رقيق.

جلست قريبًا من المنبر أتطلع إلى الزخارف الرائعة التي تزين صدر المسجد، وإلى دعائمه الوسطى وقد بنى النحل البري فوقها مساكنه يحوم حولها في أمان، ثم نودي بالأذان فجأة، وقد وقف المكبرون في مواضع مختلفة من صحن المسجد حتى يبلغوا الصوت إلى أبعد أركانه؛ فقام المصلون، وهم يقاربون أربعة آلاف وكأنهم الجند المجندة، يستجيبون للدعوة الربانية وقد اصطفوا صفوفًا متقاربة، وصلُّوا في خشوع عميق، وكنت واحدًا من

هؤلاء الخاشعين، لقد كانت تلك اللحظة عظيمة ومجيدة حقًا.

وبعد الخطبة أخذ عبدالحي بيدي ليتجه إلى المنبر، وكان عليَّ أن أسير في حذر حتى لا أزعج أحدًا من الجالسين.

لقد آن وقت الحدث العظيم، فوقفت عند درجات المنبر وسرت حركة بين الجموع الزاخرة، بينما بدت لي آلاف الرؤوس المعممة كأنها حديقة مزهرة، إنهم جميعًا يهمهمون وهم ينظرون إليَّ، وقفتُ وقد أحاط بي العلماء بلحاهم الشهباء ينظرون إليَّ مشجعين، فأشاعوا في نفسي ثباتًا عجيبًا لم أعهده من قبل، وفي غير وجل أو تردد ارتقيت المنبر حتى درجته السابعة واتجهت ببصري إلى الجموع التي خُيِّل إليَّ أنها لا آخر لها وكأنها هي بحر يموج بالحياة، وقد اشرأبت الأعناق نحوي، وساحة المسجد كلها حركة، سمعت من قريب أصواتًا تردِّد «ما شاءالله» ورأيت نظرات يشيع فيها الحب والمودة؛ فشرعت أقول «أيها السادة الكرام» متحدثًا باللغة العربية «لقد حضرت من بلاد بعيدة، بحثًا عن العلم الذي لم أستطع أن أجده في بلادي، أتيت لأنهل مما تتوق إليه روحي، فاستجبتم لي». ثم تحدثت عن الدور الذي قام به الإسلام في تاريخ العالم، وعن المعجزات التي أيد الله بها رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتكلمت عن انحلال المسلمين في العهد الحاضر، وعن الوسائل التي يمكن أن يستعيدوا بها مجدهم المفقود، وأن من المسلمين من يقول إن كل شيء موقوف على إرادة الله، بينما يقول الله في القرآن الكريم ﴿**إنَّ الله لا يغيِّر ما بقوم حتى يغيِّروا ما بأنفسهم**﴾[٦٤].

وركزت حديثي على هذه الفقرة من آيات كتاب الله ثم عرجت على

(٦٤) الرعد (١١).

تمجيد الحياة النقية الطاهرة، وعلى ضرورة محاربة التحلل المستشري، ثم جلست. وكنتُ مستغرقًا في الحديث بكل مشاعري، وأفقت على هتاف يتردد في صوت مرتفع من كل زوايا المسجد «الله أكبر».

كان التأثر والحماسُ يعمّان المكان ولا أستطيع أن أتذكر ماذا كان في ذلك الحين، غير أن «أسلم»، ناداني من فوق المنبر وشد على يدي وقادني إلى خارج المسجد.

قلت له: «لماذا هذه العجلة»؟

وقف الناس أمامي يتلقونني بالأحضان. كم من مسكين مجهد نظر إليَّ في ضراعة، يسألني «الدعوات» ويريد تقبيل رأسي فابتهلت إلى الله أن لا يدع هذه النفوس البريئة تنظر إليَّ وكأني أرفع منها قدرًا؛ فما أنا إلا حشرة بين حشرات الأرض، أو تائه جاد في البحث عن النور، لا حول لي ولا قوة، مثل غيري من المخلوقات التعيسة.

لقد خجلت أمام أنّات وآمال هؤلاء الناس الطيبين، وأحسست كأنني قد خدعتهم أو سلبتهم شيئًا.

ألا ما أثقل الحمل الملقى على عاتق رجل الدولة والسلطان، يضع الناس فيه ثقتهم ويطلبون منه العون، ويعتقدون أنه يستطيع ما لا يستطيعون.

أخرجني «أسلم» من أحضان إخوتي الجدد وأجلسني في «تونجا»(*) وذهب بي إلى المنزل.

(*) تونجا: مركبة خفيفة ذات عجلتين تستعمل في الهند.

وفي اليوم التالي وما يليه كان الناس يفدون إليَّ في جماعات لتهنئتي، ونالني من محبتهم وعواطفهم ما يكفيني زادًا مدى حياتي.

تعريف: الحاج الدكتور عبدالكريم جيرمانوس:

الحاج الدكتور عبدالكريم جرمانوس مستشرق مجري معروف، وعالم طبقت شهرته آفاق العالم. زار الهند في فترة ما بين الحربين، وقد عمل فترة في جامعـة تاغور «شانتي ناكتن» Shanti Naketen وأخيراً وفد على «الجمعية الملية» Jamia Millie في دلهي، وهناك اعتنق الإسلام. وهو عالم في اللغات، ومرجع في اللغة التركية وآدابها. ومن خلال دراساته الشرقية عرف الإسلام واعتنقه.

والـدكتور عبدالكريم جرمانوس يشغل الآن منصب أستاذ ورئيس قسم الدراسات الشرقية والإسلامية في جامعة بودابست في المجر.

دكتور حامد مرقص (ماركوس)

Dr. Hamid Marcus

عالم ومؤلف وصحفي (ألمانيا)

منـذ طفـولتي وأنا أشعر بدافع في داخل نفسي لدراسة الإسلام ما وجدت إلى ذلك سبيلاً، وعنيت بقراءة نسخة مترجمة للقرآن في مكتبة المدينة التي نشأت فيها، وكانت هي الطبعة التي حصل منها «جوته» Goethe على معلوماته عن الإسلام.

أخذ مني الإعجاب كل مأخذ لما رأيته في هذا القرآن من أسلوب عقلي رائع في نفس الوقت الذي يفرض فيه التعاليم الإسلامية؛ كما أدهشتني تلك الـروح الثـائرة الوثابة العظيمة التي أثارتها وأذكتها هذه التعاليم في قلوب المسلمين الأوائل.

ثم أتيحت لي في برلـين فرصة العمل مع المسلمين والاستمتاع إلى الأحاديث الحماسية المثيرة التي كان يقدمها مؤسس أول جمعية إسلامية في برلين ومنشيء مسجد برلين، عن القرآن الكريم، وبعد سنوات من التعاون العملي مع هذه الشخصية الفذة لمست فيها ما يبذله من ذات نفسه وروحه، آمنت بالإسلام؛ إذ رأيت في مبادئه السامية والتي تعتبر القمة في تاريخ الفكر البشري، ما يكمل آرائي شخصيًّا.

والإيمان بالله عقيدة أصيلة في دين الإسـلام، ولكنـه لا يدعـو إلى مبادىء أو عقائد تتنافى مع العلم الحديث؛ وعلى ذلك فليس ثمت تناقض ما بين العقيدة من جانب وبين العلم[٦٥] من الجانب الآخر، وهذه ولا شك

(٦٥) الصواب: بين العقيدة من جانب والعلم من الجانب الآخر. انظر التعليق رقم (٥).

ميزة عظيمة فريدة في نظر رجل أسهم بكل طاقاته في البحث العلمي .

وميزة أخرى يمتاز بها الدين الإسلامي ، تلك أنه ليس مجرد تعاليم نظرية صماء تسير على غير بصيرة وعلى هامش الحياة ؛ إنما هو يدعو إلى نظام تطبيقي يصبغ حياة البشر؛ وقوانين الإسلام ليست بالتعاليم الجبرية التي تحتجز الحريات الشخصية ، ولكنها توجيهات وإرشادات تؤدي إلى حرية فردية منظمة .

ومع توالي السنين كنت أزداد اقتناعًا بما يتبين لي من الأدلة على أن الإسلام يسلك أقوم سبيل في الملاءمة بين شخصية الفرد وشخصية الجماعة ويربط بينهما برباط قوي متين .

إنه دين الاستقامة والتسامح ، إنه دائم الدعوة إلى الخير، يحضُّ عليه ويرفع من شأنه في جميع الأحوال والمناسبات .

تعريف: الدكتور حامد مرقص:

دكتور حامد مرقص كان محررًا لمجلة Moslemiche Revue الإسلامية التي تصدر في برلين .

وليم بورشل بشير بيكارد (انجلترا)

William Burchell Bashyr Pickard

مؤلف وشاعر وقصصي

«كـل مولـود يولـد على الفـطرة، فأبـواه يهودانـه أو ينصرانـه أو يمجِّسانه»(*) [حديث شريف].

لقـد ولـدت مسلمًا، وتلك حقيقة لم أدركها إلا بعد سنين عديدة، وعنـدما كنت طالبًا في المدرسة وفي الجامعة كنت أكاد أحصر اهتمامي في متطلبات الساعة، وما أحسبني كنت في تلك الفترة لامعًا، ولكنني كنت على أي حال متفوقًا.

نشأت في بيئة مسيحية، حيث تعلمت الحياة الفاضلة، وكان يطيب لي التفكير في الرب وفي العبادة وفي الاستقامة، وإذا كنت حينذاك أقدس أي شيء، فقد كنت أقدس النُبل والشجاعة.

تخرجت في كمـبردج وسـافرت إلى إفريقيا الوسطى حيث عينت في وظيفة إدارية في محمية أوغندا، وهناك لقيت الحياة الجميلة الرائعة المثيرة فوق ما كنت أتصورها عندما كنت في انجلترا، وكانت الظروف عندئذ تقتضي أن أعيش بين إخواننا في الإنسانية من السود الذين تعلقت بهم بكل جوارحي، وأستطيع أن أعزو ذلك إلى نظرتهم البسيطة المرحة للحياة.

لقد كان الشرق دائمًا يجذبني إليه، وكنت في كمبردج أقرأ قصص ألف ليلة. وفي وحـدتي في أفريقيا قرأتها مرة أخرى، ولم تكن حياتي المتنقلة في أوغندا لتقلل من حبي لبلاد الشرق.

(*) متفق عليه.

وفي خلال هذه الفترة الوادعة من حياتي نشبت الحرب العالمية الأولى فسارعت إلى العودة لبلادي في أوروبا. ثم أصابني ضعف صحي. فلما عوفيت تقدمت طالبًا للعمل في الجيش، إلا أن طلبي رفض لحالتي الصحية فتقدمت إلى فرقة الفرسان المتطوعين ونجحت في أن أتخطى العقبات الطبية بوسيلة أو بأخرى، ثم شعرت بالرضى عندما ارتديت زي الفرسان، وفي فرنسا في الجبهة الغربية اشتركت في معركة «سوم» Somme سنة ١٩١٧م[٦٦] حيث جرحت وأخذت أسير حرب.

سافرت إلى بلجيكا ثم ألمانيا، حيث أقمت في المستشفى؛ وفي ألمانيا رأيت كثيرًا من آلام الإنسانية الجريحة، وخصوصًا بين الروسيين الذين يعانون الدوسنطاريا. كدت أموت جوعًا؛ إذ كنت عديم النفع للألمان؛ وكان ذراعي الأيمن مكسورًا ولا يتقدم إلا قليلاً نحو الشفاء، فأرسلوني إلى مستشفى في سويسرا للعلاج وإجراء جراحة.

وإني لأذكر أنه حتى في تلك الحقبة من الزمان، لم تكن منزلة القرآن لتتضاءل في نفسي، وكنت وأنا في ألمانيا قد أرسلت إلى بلادي طالبًا نسخة من ترجمة «سيل» Sale ثم علمت بعد سنوات أنها فعلاً أرسلت لي في حينها ولكنها لم تصلني.

وفي سويسرا استعدت عافيتي بعد إجراء جراحة في ذراعي وساقي، وأصبحت مستطيعًا الخروج والتنقل فيما حولي، فاشتريت نسخة من القرآن منقولة للفرنسية ترجمة «ظَفري» Savary - وهي عندي اليوم من أعز ما أقتنيه - وفيها وجدت سعادتي وإشراق روحي، كانت شعاعًا من النور الخالد ملأ جوانب قلبي غبطة وبركة.

---

(٦٦) يوافق ١٣٣٥هـ.

كانت يدي اليمنى ما تزال عاجـزة، فكنت أكتب القـرآن بيدي اليسرى، ومن شواهد تعلقي بالقرآن، أن من أروع ما علق بذهني مما قرأت في قصص ألف ليلة، قصة ذلك الشاب الذي وُجِد حيًا وحده في مدينة الموتى، وهو يقرأ القرآن، غير مكترث بكل ما حوله.

في تلك الأيام، في سويسرا، كنت في حقيقة أمري مستسلمًا لمشيئة الله، أي أنني كنت مسلمًا.

وبعد توقيع الهدنة عدت إلى لندن في ديسمبر سنة **١٩١٨**م[٦٧] وبعد حوالي ثلاث سنوات التحقت بجامعة لندن سنة **١٩٢١**م[٦٨] لدراسة الآداب. وكانت اللغة العربية إحدى المواد التي اخترتها واستمعت إلى محاضرات عنها في الكلية الملكية. وكان أستاذ اللغة العربية (المرحوم بلشاه) Mr. Belshah من العراق يحاضرنا ذات يوم وأشار إلى القرآن الكريم وقال: «سواء آمنت به أو لم تؤمن فإنك ستجده كتابًا عظيمًا جديرًا بالدراسة»، فكان جوابي عليه: «ولكنني أومن به فعلاً»، فكانت مفاجأة سارة أثارت اهتمام أستاذي الذي دعاني بعد حديث قصير، لمرافقته إلى مسجد لندن في «نتوتنج هل جيت» Notting Hill Gate وبعد ذلك صرت أتردد كثيرًا على هذا المسجد، حيث ازدادت معرفتي عمليًا بشعائر الإسلام حتى كان يوم رأس السنة **١٩٢٢**م[٦٩] فأعلنت إسلامي وانضمامي إلى جماعة المسلمين.

مضى على ذلك أكثر من ربع قرن، ومنذ تلك اللحظة وأنا أطبق الإسلام نظريًا وعمليًا في حياتي ما وسعني أن أفعل ذلك.

---

(٦٧) يوافق ربيع الأول ١٣٣٧هـ.

(٦٨) يوافق ١٣٤٠هـ.

(٦٩) يوافق ١٣٤١هـ.

إن قدرة الله وحكمته ورحمته وسعت كل شيء، وإن مجالات المعرفة فسيحة ممتدة أمامنا لا تحدها الآفاق، وإني لأحس إحساس اليقين أن أنسب ثوب نرتديه ونحن نَعْبُر هذه الحياة هو ثوب الاستسلام لله الأحد الصمد والامتثال إليه، تتوج رؤوسنا عمامة تسبيحه وتحميده ونملأ قلوبنا بحبه وتمجيده.

والحمد لله رب العالمين.

تعريف: وليم بورشيل بشير:

وليم بورشيل بشير دكتور في الآداب من جامعة لندن، وهو مؤلف واسع الشهرة ومن مؤلفاته (ليلى والمجنون) و(مغامرات القاسم) Adveatured of Alcassem و(عالم جديد) A New World وغير ذلك.

كولونيل دونالد اس. روكويل (الولايات المتحدة)

Col. Donald S. Rockwell

شاعر وناقد ومؤلف

إن بساطة الإسلام، ومساجد المسلمين بجاذبيتها وبها في أجوائها من روعـة وجلال، والجد والوقار اللذين يتميز بهما المسلمون المؤمنون، والثقة الباعثة على اليقين في قلوب الملايين العديدة المنتشرين في أنحاء المعمورة، والذين يستجيبون لأداء الصلوات خمس مرات في اليوم، كل هذه الأمور ملكت عليَّ مشاعري منذ البداية.

على أنني بعد أن قررت أن أنضم إلى ركب المسلمين، وجدت أن هناك أسبابًا كثيرة أخرى أهم وأعمق من هذه الدوافع زادتني يقينًا وتصميمًا؛ هذا الإدراك الناضج للحياة - وهو من ثمار السنة المحمدية التي تجمع بين الرأي السديد والقدرة العملية - وهذا التوجيه الحكيم، وهذا الحث على البر والـرحمة، وهذه النزعة الإنسانية الشاملة، وهذا الإقرار الرائد بتقرير حق الملكية للمرأة، هذه الأمور وكثير غيرها من التعاليم التي جاء بها رجل مكة (الرسول صلى الله عليه وسلم)، كانت بالنسبة لي من الشواهد الحية على واقعية هذا الدين التي أبرزها محمد - صلى الله عليه وسلم - في قول موجز محكم أخّاذ سديد.

استمع إلى قوله: «**اعقلها وتوكّل**»[٧٠] لقد قرر في هاتين الكلمتين

(٧٠) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة (٤/٦٦٨) الحديث رقم (٢٥١٧)، وهذا نصه:
قال الترمذي: حدثنا عمرو بن علي. حدثنا يحيى بن سعيد القطان، حدثنا المغيرة بن أبي قرة السدوسي، قال: سمعت أنس بن مالك يقول: قال رجل: يا رسول الله، أعقلها وأتوكل، =

نظامًا دينيًّا في أعمالنا المعتادة، فلم يطلب إلينا التصديق الأعمى بوجود قوى غيبية تحفظنا رغم تقصيرنا وإهمالنا، بل يدعونا إلى الثقة في الله والرضى بإرادته في عاقبة أمرنا إذا نحن طرقنا الأمور من أبوابها الصحيحة وبذلنا في ذلك قصارى جهدنا.

وسماحة الإسلام مع الأديان الأخرى - وهذا نابع من اتساع الأفق الفكري - تجعله قريبًا إلى قلوب أولئك الذين يعشقون الحرية؛ فقد دعا محمد - صلى الله عليه وسلم - أتباعه إلى أن يحسنوا معاملة المؤمنين بالتوراة والإنجيل، وإلى الإيمان بأن إبراهيم وموسى وعيسى (صلوات الله عليهم) رسل من عند الله الواحد الأحد؛ ولا شك إن هذه سماحة في الإسلام يمتاز بها عن الأديان الأخرى.

إن التحرر الكامل من عبادة الأوثان دليل على سلامة دعائم العقيدة الإسلامية وعلى نقائها.

والتعاليم الأصلية التي جاء بها محمد - صلى الله عليه وسلم - لم يغيرها المشرعون بتعديلات أو إضافات. فها هو القرآن على حاله التي أنزل بها على محمد - صلى الله عليه وسلم - لهداية مشركي ذلك الزمان، يبقى ثابتًا راسخًا رسوخ روح الإسلام ذاته.

والاعتدال والتوسط في كل شيء هما دعامتان أساسيتان في الإسلام استحوذتا على كل إعجابي وتقديري.

= أو أطلقها وأتوكل؟ قال: **اعقلها وتوكل**. قال عمرو بن علي: قال يحيى: وهذا عندي حديث منكر.

قال أبو عيسى: وهذا حديث غريب من حديث أنس لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وقد رُوي عن عمرو بن أمية الضمري عن النبي - صلى الله عليه وسلم - نحو هذا.

وكان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حريصاً على صحة قومه فأمرهم بالتزام النظافة إلى أبعد الحدود، كما أمرهم بالصوم والسيطرة على الشهوات الجسدية، وأذكر أنني كنت عندما أقف في مساجد إستنبول ودمشق وبيت المقدس والقاهرة والجزائر وطنجة وفاس وغيرها من المدن، كنت أحس شعورًا عميقًا بقدرة الإسلام في بساطته، على الارتفاع بروح البشر إلى الآفاق العليا، دون حاجة إلى زخارف أنيقة أو تماثيل أو تصاوير أو موسيقى أو طقوس رسمية؛ فالمسجد مكان للتأمل الهادىء، ونسيان الفوارق أو الحواجز السطحية، في ذكر الله الأحد.

وتتجلى ديموقراطية الإسلام التي أثارت إعجابي في تساوي الحقوق بين الملك صاحب السلطان وبين الفقير(٧١) المتسول داخل جدران المسجد، فهم يسجدون جميعًا لله، ليست هناك مقاعد تستأجر ولا أماكن تحجز لفئة دون أخرى.

ولا يؤمن المسلم بوسيط بينه وبين ربه، بل يتوجه رأسًا إلى الله خالق الخلق وواهب الحياة ـ وهو لا يراه ـ دون التجاء إلى صكوك غفران، أو إيمان بقدرة معلم على منحه الخلاص.

والأخوة العالمية الشاملة في الإسلام بغض النظر عن اختلاف العنصر أو المذهب السياسي أو اللون أو الإقليم، قد ثبتت عندي بكل يقين واقتناع مرات ومرات؛ وهذه ظاهرة أخرى كانت ضمن الدوافع التي قادتني إلى الإيمان بالإسلام.

---

(٧١) الصواب: بين الملك صاحب السلطان والفقير المتسول. انظر التعليق رقم (٥).

مستر ر. ل. ملما (هولندا)

Mr. R. L. Mellema

عالم في تاريخ الأجناس البشرية وكاتب وأديب

ما هو أجمل ما راقني في الإسلام؟

وما الذي اجتذبني للإيمان به؟

بدأت بدراسة اللغات الشرقية في جامعة ليدن عام ١٩١٩م[٧٢] وحضرت محاضرات البروفسور س. سنوك هيرجرونج C. Snouck Hurgronje عالم اللغة العربية المعروف. فتعلمت العربية، وقرأت وترجمت تفسير البيضاوي للقرآن، وخواطر الغزالي عن الشريعة؛ ثم قرأت عن تاريخ الإسلام ومذاهبه في الكتب الصغيرة المتداولة في أوروبا، وكان ذلك هو الشيء الممكن العادي في ذلك الوقت.

وفي سنة ١٩٢١م[٧٣] أقمت في القاهرة شهرًا زرت أثناءه «الأزهر».

وإلى جانب اللغة العربية تعلمت اللغة السنسكريتية ولغتي الملايو وجاوة، وفي سنة ١٩٢٧م[٧٤] سافرت إلى جزر الهند الهولاندية (وهكذا كان اسمها في ذلك الوقت) لتدريس اللغة الجاوية وتاريخ الثقافة الهندية في إحدى المدارس الثانوية الخاصة بالدراسات العليا في جوجاكارتا.

تخصصت مدة خمسة عشر عامًا في دراسة اللغة والثقافة الجاوية قديمًا

---

(٧٢) يوافق ١٣٣٧هـ.

(٧٣) يوافق ١٣٣٩هـ.

(٧٤) يوافق ١٣٤٥هـ.

وحديثًا، وفي هذه الفترة كان اتصالي بالإسلام قليلاً، وكنت منقطعًا تمامًا عن اللغة العربية.

قضيت بعد ذلك فترة عصيبة، كنت فيها أسير حرب عند اليابانيين وعدت بعدها إلى هولاندا سنة ١٩٤٦م[٧٥]، حيث التحقت بعمل جديد في المعهد الاستوائي الملكي في أمستردام؛ وهنا أتيحت لي الفرصة لمعاودة دراسة الإسلام، بمناسبة تكليفي بكتابة دليل موجز عن الإسلام في جاوة.

شرعت في دراسة عن دولة باكستان الإسلامية الجديدة، واختتمت دراستي برحلة إلى باكستان في شتاء سنة ١٩٥٤م[٧٦] ١٩٥٥م[٧٧]، ولما كانت دراساتي السابقة عن الإسلام محصورة فيما كتبه الأوروبيون وحدهم، فإنني عندما وصلت إلى لاهور، وجدتني فجأة أمام واجهة أخرى جديدة عن الإسلام فطلبت من أصدقائي المسلمين أن أصحبهم إلى صلاة الجمعة في المساجد، ومن تلك اللحظة بدأت أكتشف القيم الكبرى في دين الإسلام، وبدأت أشعر في قرارة نفسي أنني مسلم منذ طلب إليَّ أن أخطب الناس في أحد مساجد لاهور، وصاحبت بعدها من الإخوة والأصدقاء الجدد من لا أحصيهم عددًا، وكتبت في تلك المناسبة مقالاً في نشر في مجلة «باكستان كوارترلي» في المجلد الخامس رقم ٤ سنة ١٩٥٥م[٧٨] وضمنته السطور التالية:

«ثم زرنا بعد ذلك مسجدًا أصغر كثيرًا، وخطيب الجمعة عالم يتكلم

---

(٧٥) يوافق ١٣٦٥هـ.

(٧٦) يوافق ١٣٧٣هـ.

(٧٧) يوافق ١٣٧٤هـ.

(٧٨) يوافق ١٣٧٤هـ.

الإنجليزية بانـطلاق، له مركـز مرموق في جامعة البنجاب، قال لجموع المصلين إنه تعمد تطعيم خطبته باللغة الأردية بكلمات إنجليزية أكثر من المعتاد، حتى ييسر بذلك فهمها على أخيهم الذي جاء من بلاده البعيدة في هولاندا، وبعد الخطبة صلى الحاضرون ركعتين خلف الإمام، وبعدها صلى من شاء ركعات أخرى.

كنت على وشـك الانصراف، حين التفت إليَّ «عـلامـة صاحب» (الإمام) وأشار إليَّ أن الجموع تنتظر مني أن أُلقي فيهم كلمة؛ وكان عليه هو أن يترجمها إلى الأردية. فتوجهت إلى مكان الميكرفون وبدأت الحديث في هدوء، وذكرت أنني أتيت من بلاد بعيدة ليس فيها من المسلمين إلا القليل، وأنني أحمل تحياتهم إلى إخوانهم الحاضرين في المسجد الذين كان من حسن طالعهم أن أقاموا دولتهم الإسلامية منذ سبع سنوات تمكنت فيها ـ مع قصر المدة ـ من تدعيم مكانتها، وأنها رغم المشاكل والعقبات التي صادفت نشأتها لتنظر في اطمئنان إلى مستقبل مزدهر.

ووعدت المستمعين أن أكون لسان صدق عند عودتي إلى بلادي لما لقيته من عطف وكرم من جميع قطاعات شعب باكستان المسلم.

وما كاد الجميع يستمع إلى الترجمة الأردية لهذه الكلمات، حتى سرت آثـارها فيهم بقوة عجيبة أذهلتني، وقبل أن أعرف ماذا جرى بينهم رأيت مئات المصلين يسارعون إليَّ شبابًا وشيوخًا، يشدون على يديَّ مهنئين، وعلى وجوههم مشاعر المحبة العميقة. غير أن أشد ما أسر قلبي وخلب لبي، كان ذلك البريق الهادىء العميق الذي كان يشع من عيون الحاضرين، وفي هذه اللحظة شعرت أنني أصبحت أحد أفراد الأسرة الإسلامية العظيمة، التي تمتد في أرجاء الدنيا، وعندئذ أحسست بسعادة ليس في مقدوري وصفها».

وهكذا علمني شعب باكستان أن الإسلام ليس مجرد علم بتفاصيل الشريعة، وأن الإيمان بالقيم الروحية الإسلامية يأتي في المقدمة وأن العلم واجب للوصول إلى ذلك الإيمان.

والآن نأتي إلى السؤال: «ما هو أجمل ما راقني في الإسلام؟ وما هو - على التحديد - ذلك الشيء الذي اجتذبني إلى الإيمان به؟

سأحاول الإجابة في إيجاز عن هذين السؤالين في ست نقاط:

١ - الإيمان بوجود إلـه واحد له السلطان المطلق فكرة تقتنع بها كل العقول المفكرة، وأنه الله الذي يحتاج إليه الخلق جميعًا[٧٩]، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، وأنه متصف بأكمل الكمال في الحكمة والقوة والجمال؛ ليس لبره ورحمته حدود.

٢ - الصلة بين خالق الكون ومخلوقاته، التي ميَّز الله الإنسان عليها، صلة مباشرة؛ فلا يحتاج المؤمن إلى وساطة، كما لا يحتاج الإسلام إلى كهنوت. ومن تعاليم الإسلام أن الصلة بالله ترجع إلى الإنسان نفسه وأن على الإنسان أن يعمل في حياته الدنيا لحياته الأخرى، وأنه مسئول عن عمله ولن تكفر ذنوبه تضحية نفس أخرى بريئة؛ وأنه لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

٣ - مبدأ التسامح في الإسلام، كما يبدو في هذه الكلمات الخالدة ﴿لا إكراه في الدين﴾ وأن المسلم مطالب بالبحث عن الحق حيثما وجده، ومطالب كذلك باحترام ما في الأديان الأخرى من خير.

٤ - مبدأ الأخوة في الإسلام الذي يمتد ليشمل البشرية عامة، بغير اعتبار

---

(٧٩) يقول سبحانه: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد. إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز﴾. فاطر (١٥ - ١٧).

للون أو جنس أو عقيدة، وينفرد الإسلام بين كل الأديان في أنه الوحيد الـذي طبق هذا المبدأ عمليًا؛ والمسلمون أينما كانوا على سطح هذه المعمورة، ينظر الواحد منهم إلى الآخر نظرة الأخ لأخيه.

والمساواة بين الناس جميعًا أمام الله، تتمثل واضحة في لباس الإحرام في الحج.

٥ - تقدير الإسلام للعقل والمادة ولقيمة كل منهما، باعتبارهما حقائق قائمة، وأن النمـو العقـلي في الإنسـان يسـير جنبًـا إلى جنب مع احتياجاته الجسـدية، وأن على الإنسـان أن يسلك في الحياة سبيلاً يهيمن فيه بالعقل على المادة، ويخضع فيه المادة لحكم العقل.

٦ - تحريم الخمور والمواد المخدرة، وهذا على الأخص أمر يمكن أن يقال فيه: إن الإسلام سبق به زمانه سبقًا كبيرًا.

تعريف الدكتور ر. ل. ملما:

الدكتور ر. ل. ملما رئيس القسم الإسلامي في المتحف الاستوائي في أمستردام Tropiical Museum وهو مؤلف كتب Wayang Puppets Grondwet van Pakistn, and Een Interpretatie van de Islam وغيرها من الكتب.

من كلمات توماس كارليل:

«هؤلاء العرب وهذا الرجل محمد (صلى الله عليه وسلم) وهذا القرن الواحد!! أليس كل ذلك كالشهاب بدأ ثم اختفى! شهاب واحد لمع في عالم كالرمال السوداء، لا يؤبه له، ولكن يا للعجب! إذا بالرمال وكأنها استحالت إلى مسحوق مفجر، يرتفع وهجها إلى السماء من دلهي إلى غرناطة!! قلت: لقد كان «الرجل العظيم» دائمًا كالبرق يومض في السماء، والناس ينتظرونه

وهم كالوقود، ومن هذا الوميض يشتعل الوقود» (من كتاب Heroes - Worship. And the Heroic in History) مكتبة إفريمانز - لندن - ١٩١٨م[٨٠] ص ٣١١).

(٨٠) يوافق ١٣٣٦هـ.



القسم الثالث

نساء اعتنقن الاسلام

القسم الثالث

نساء اعتنقن الاسلام

الآنسة مسعودة ستينمان (انجلترا)

Miss Masudah Steinmann

لا أعرف دينًا آخر يقبله العقل ويجذب الناس إليه، وله من المؤمنين به مثل هذه الجموع الضخمة. ويبدو لي أنه ما من طريق أقرب منه إلى الاقتناع العقلي والرضى في الحياة، ولا أعظم منه أملًا للنجاة في الحياة الآخرة.

والإنسان في الكون جزء من كل؛ ولا يمكن لأي إنسان أن يدعي أنه أكثر من ذرة في هذا الكون، بكماله البديع؛ وما دام الأمر كذلك فإنه لا يستطيع شيئًا أكثر من أن يحقّق هدفه من الحياة وذلك بأداء وظيفته في ربط صلته بالكون كمجموع وبالكائنات الحية الأخرى، إذ إن الصلة المتناسقة بين الجزء والكل هي التي تجعل للحياة هدفًا وتجعلها أقرب ما تكون إلى الكمال، وتهيىء للإنسان أسباب الفوز بالرضى والسعادة.

فما هو الدور الذي يؤديه الدين في هذه الصلة بين الله الخالق وبين المخلوق(٨١)؟.. هاكم بعض آراء الناس عن الدين:

يقول كارليل في كتابه (Heroes and Heroworship) «إن دين الرجل هو الحقيقة الكبرى بالنسبة إليه؛ فالشيء الذي يؤمن به الإنسان في واقع حياته،

(٨١) الصواب: بين الله الخالق والمخلوق. انظر التعليق رقم (٥).

الشيء الـذي يملك عليه كل قلبه، ويعلم علم اليقين أنه ينظم علاقاته بالكون ويحدد واجبه وهدفه، هذا الشيء هو الدين».

ويقـول تشسـترتون G. K' Chesterton في كتابه (Come to think of it): «الدين هو الإحساس بالحقيقة الكبرى لأي معنى قد يدركه الإنسان عن وجوده و وجود أي شيء سواه».

ويقول امبروز بيرس Ambrose Bierce في كتابه «قاموس الشيطان» (The Devil's Dictionary): «الدين وليد الرجاء والخوف، يوضح حقيقة الغيب المجهول للذين لا يعلمون».

ويرى إدموند بورك Edmund Burke في كتابه (Reflections on the Re- volution in France) «لا شك أن صلب الـدين الصحيح هو في الانصياع لإرادة مالك العالم، وفي الإيمان برسالاته، وفي التشبه بكماله».

وقال سويدنبورج Swedenborg في كتابه (Donctrine of Life): «الدين كله يتعلق بالحياة وروح الدين هو العمل الصالح».

أمـا جيمس هارنجتون James Harrington فيقول في كتابه (Oceana): «كل إنسان يشعر بنوع من التدين سواء من الرهبة أو على سبيل العزاء».

وكـل إنسان، بين الحين والحين، يجد نفسه وجهًا لوجه أمام غيب مجهول لا يستطيع له إدراكًا، وأمام سر الهدف من وجوده!! فيسأل نفسه عن كل ذلك، وهو بهذا التساؤل يبعث في نفسه لونًا من الاعتقاد أو الاقتناع وهذا هو «الدين» في أوسع معانيه.

لماذا أرى الاسلام أكمل الأديان؟

أولاً وقبل كل شيء، إن هذا الدين يهدينا إلى معرفة الخالق الواحد: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفوًا أحد**﴾[٨٢].

﴿**إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير**﴾[٨٣].

وفي مواضعَ كثيرةٍ يذكرنا القرآنُ بوحدانية الخالق الأحد الذي لا تدركه الأبصار، العليم، القادر، القاهر، الأول، والآخر، الدائم، الرؤوف، الرحمن، الرحيم، العفو، الغفور، الحكم، العدل.

وهكذا يصبح الكمال حقيقة، ثم نجدنا مطالبين في مواضع كثيرة من القرآن، بإحكام الصلة بين الخالق وبيننا ﴿**اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينًا لكم الآيات لعلكم تعقلون**﴾[٨٤].

﴿**قل أعوذ برب الناس**﴾[٨٥].

ويمكننا أن نقول إنه لإمكان معرفة الله والإيمان به وليحيا الناس حياة طيبة، فإنه من الضروري أن نؤمن بالرسالات الربانية. ألسنا نرى الوالد يرشد أبناءه؟ ألسنا نراه ينظم لأسرته أمور حياتها حتى يعيش أفرادها في انسجام ووئام؟ **ولله المثل الأعلى** .

والإسلام يقرر أنه هو الدين الوحيد الصحيح، ويؤيد الحق الذي

---

(٨٢) سورة الإخلاص.

(٨٣) هود (٤).

(٨٤) الحديد (١٧).

(٨٥) الناس (١).

جاءت به الأديان السابقة، ويقرر أن التوجيه الحكيم الذي جاء به القرآن واضح تقبله العقول، فهو يرشدنا إلى طريق تحقيق الصلة السليمة بين الخالق والمخلوقات، وبذلك يتحق الربط الوثيق بين الجانبين المادي والروحي، وهو ما يحقق التوازن بين قوتنا الذاتية والقوة الخارجة عن إرادتنا، وهذا بدوره يحقق الرضى والطمأنينة في قرارة أنفسنا، وليس هناك ما هو أقوى أثرًا من هذا العنصر الهام في الانسجام بين أي كائن حي وبين غيره[٨٦]، وبدون ذلك لا تستطيع البشرية السير بخطوات ثابتة في طريق الكمال.

والمسيحية تولي جل اهتمامها بالجانب الروحي من الحياة فتدعو إلى نوع من المحبة يثقل كاهل المسيحي بالمسئوليات؛ ودعوى المحبة التامة مقضي عليها بالفشل إذا كان الوصول إليها خارجًا عن حدود طبيعة البشر، وتتعارض مع إدراكه ومفاهيمه؛ ولا يستطيع أحد أن يداني ذلك المستوى المثالي للمحبة كما تدعو إليه المسيحية إلا أن يؤتى حظًا موفورًا من معرفة النوازع البشرية المتباينة، وأن يتصف مع هذه المعرفة بالعطف والإدراك السليم، مع الشعور بالمسئولية، وحتى في هذه الحالة، فإن على مثل هذا الإنسان أن يتخلى عن عقله في سبيل هذه المحبة.

يقول س. ت. كوليردج S.T. Coleridge في كتابه (Aids to Reflection): «إن الذي يبدأ بحب المسيحية أكثر من حبه (للحق) سيقوده ذلك إلى حب طائفته أو كنيسته أكثر من حبه للمسيحية، ثم ينتهي به الأمر إلى حب نفسه أكثر من أي شيء آخر».

---

(٨٦) الصواب: بين أي كائن حي وغيره.

والإسـلام يدعونا إلى تقديس الله وأن نخضع لشريعته، وفي ذات الـوقت يدعـونـا ويشجعنا على استعمال العقل مع مراعاة عواطف الحب والتفاهم جنبًا إلى جنب.

ويقول الله في القرآن وهو رسالة الخالق إلى جميع خلقه على اختلاف أجناسهم وأممهم ومكانتهم في المجتمع: ﴿**قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضلَّ فإنما يضلُّ عليها وما أنا عليكم بوكيل**﴾(٨٧).

لا أعرف دينًا آخر يقبله العقل ويجذب الناس إليه وله من المؤمنين به مثل هذه الجموع الضخمة. ويبدو لي أنه ما من طريق أقرب منه إلى الاقتناع العقلي والرضى في الحياة، ولا أعظم منه أملًا للنجاة في الحياة الآخرة بعد الموت.

---

(٨٧) يونس (١٠٨).

مافيز ب. جولي (انجلترا)
Mavis B. Jolly

كان مولدي في بيئة مسيحية، وتعميدي في الكنيسة الإنجليزية، ثم التحقت بمدرسة تابعة للكنيسة وقرأت في سن مبكرة قصة المسيح، كما جاءت في الأناجيل، وكان لها في نفسي تأثير عاطفي عميق، كما كنت أحس نفس الشعور كلما ترددت على الكنيسة، ونظرت إلى الهيكل المرتفع بشموعه المضيئة، وأريج عطوره، وإلى القساوسة في أرديتهم التقليدية، واستمعت إلى ترانيمهم الغامضة في الصلاة.

وأعتقد أنني كنت في تلك السنوات القليلة، مسيحية متحمسة، ومع تقدمي في الدراسة واستمرار اتصالي بالإنجيل وكل ما يتعلق بالمسيحية، اتسعت أمامي فرصة التفكير فيما قرأت وشاهدت وفيما مارست من عبادة وعقيدة؛ وسرعان ما وجدتني أمام أشياء كثيرة لا أستطيع الاقتناع بها. وما إن وصلت إلى نهاية هذه المرحلة الدراسية حتى أصبحت ملحدة لا أومن بالدين. ثم شرعت أدرس الأديان الرئيسية الأخرى في العالم، فبدأت بالبوذية ودرست بكل اهتمام طريقها ذا الشعب الثمانية، فوجدتها تهدف إلى الخير، لكنها تفتقر إلى الكثير من التفاصيل وينقصها وضوح الاتجاه، وفي الهندوسية رأيتني أمام مئات من الآلهة، لا ثلاثة فقط ولكل منها قصة وهمية مثيرة لا يمكنني قبولها.

ثم قرأت قليلاً عن اليهودية، غير أنني كنت قد قرأت الكثير عنها في العهد القديم وخرجت من قراءاتي بأنها تنقصها المقومات التي أرى أن لابد من توفرها في الدين.

وبناء على توجيه أحد أصدقائي[٨٨] بدأت دراسة علم الروحانيات وأن أحضر جلساته التي تسيطر فيها الأرواح المجردة على الإنسان، غير أني لم أزاول ذلك طويلاً، حيث اقتنعت تمامًا أن الأمر بالنسبة إليَّ لم يكن أكثر من إيحاء نفسي، وقد أعرض للخطر إذا سرت في هذا السبيل طويلاً.

وبانتهاء الحرب حصلت على عمل في أحد مكاتب لندن، غير أن ذلك لم يكن ليحول بيني وبين التفكير الديني. وذات يوم نشرت إحدى الصحف المحلية مقالاً فكتبت ردًا عليه أعترض على تأليه المسيح، كما ورد في الإنجيل، ونتج عن ذلك الرد أن اتصل بي كثير من القراء، ومن بينهم رجل مسلم.

وهنا بدأت في دراسة الإسلام مع هذا الذي تعرفت إليه حديثًا، وكنا كلما ناقشنا جانبًا من هذا الدين، أشعر بانهيار رغبتي في مقاومته. ثم اقتنعت وآمنت - رغم استبعادي لذلك في الماضي - بأن الرسالة الكاملة قد وصلتنا على لسان رجل عادي من البشر، إذ أن أرقى الحكومات في القرن العشرين لم تستطع أن ترقى بتشريعها إلى ما يفوق تلك الرسالة، بل إنها تقتبس أنظمتها باستمرار من النظام الإسلامي.

وبعد تلك الفترة قابلت عددًا من المسلمين، وبعض فتيات انجليزيات ممن تحولن عن دينهن، وبذلن الجهد لمعاونتي؛ إذ أدركن ما أواجه من مشاكل لنشأتنا جميعًا في بيئة واحدة، ولكن ذهبت جهودهن دون جدوى.

---

(٨٨) الإسلام لا يقر للمرأة أو الرجل اتخاذ الصديق مهما ادعيا أن الصلة بينهما نزيهة.

قرأت عددًا من الكتب، أذكر منها: (دين الإسلام) The Religion of Islam و(محمد والمسيح) Mohammad and Christ و(مصادر المسيحية) The Sources of Christianity وقـد تأثرت كثيرًا بهذا الكتاب الأخير الذي يوضح التشـــابـــه العجيب بين المسيحية والقصص الخيالية الخـرافية في الـوثنية القديمة، والأهم من كل هذا أنني كنت قد قرأت القرآن، وللوهلة الأولى بدا لي كأن أكثره ترديد مكرر، ولم أكن واثقة تمامًا من مدى استيعابي لما فيه، غير أنني وجدته يصل إلى القلب رويدًا رويدًا؛ تتوالى الليالي ولا أجد في نفسي الرغبة في تركه من يدي، وكثيرًا ما كان يشغل فكري ذلك التساؤل العجيب، كيف يعقل أن يأتي هذا الهدى الكامل للإنسانية، بطريق البشر المتصفين بالنقص، ولم يقل المسلمون أبدًا عن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنه فوق البشر.

لقـد رأيت الإسـلام يقرر أن الرسل رجال لم يتدنسوا بالخطايا وأن الوحي ليس شيئًا جديدًا، فقد أنزل على أنبياء اليهود من قبل، وأن عيسى كان هو الآخر رسولاً، غير أن لغزًا ظل يراود فكري! لماذا لا ينزل الوحي على رسل في القرن العشرين؟! وكانت الإجابة أن أتدبر ما قرره القرآن (في سورة الأحزاب ٤٠) أن محمـداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ ﴿**رسـول الله وخاتم النبيين**﴾ فكان ردًا مفحمًا تمامًا، إذ كيف يتأتى أن يرسل الرسل بعد محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والقرآن المجيد هو الكتاب الشامل الذي جاء تبيانًا لكل شيء ومصدقًا لما بين أيدينا، وهو باق ثابت إلى الأبد بلا نسخ ولا عبث، كما يقرر القرآن ويؤكده الواقع ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر** (أي القرآن) **وإنَّا له لحافظون**﴾[٨٩]؛ لا شك

---

(٨٩) الحجر (٩).

أنه ليس هناك من داع بعد ذلك إلى رسل ورسالات ورغم ذلك فقد ظللت في غمرة التفكير.

قرأت أن القرآن هدى لقوم يتفكرون[*] وأنه تحدى المتشككين ليأتوا بسورة من مثله ﴿**وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين**﴾[٩٠].

ثم أمعنت التفكير، إذا كان النظام القرآني للحياة يعزى إلى رجل ولد في سنة ٥٧٠ ميلادية فلا شك أن بمقدورنا في سنة ١٩٥٤م[٩١] أن نصل إلى نظام أفضل منه، وبدأت البحث على هذا الأساس، ولكنني فشلت في كل مجال.

لا شك أنني كنت متأثرة بما سمعته من فوق المنابر المسيحية طعنًا في الإسلام، عندما تناولت موضوع تعدد الزوجات، ظنًا مني أنني وجدت طلبتي في إثبات هذا النقص، إذ كان جليًا في نفسي حينذاك أن نظرية الغرب في قصر الزواج على واحدة تفوق كثيرًا ذلك النظام العتيق الداعي إلى التعدد، فحدثت في ذلك صديقي المسلم[٩٢] الذي وضع أمامي الرد المقنع، بأن إباحة تعدد الزوجات في الحدود الضيقة المقررة، إنما هو العلاج لما يجري الآن في الغرب من زيادة انتشار الاتصالات السرية بين الجنسين بشكل متزايد، مؤيدًا قوله بمقالات نشرتها الصحف، تبين مدى قلة عدد

(*) في الأصل الإنجليزي إشارة إلى الآية ٦٥ من سورة النحل وربما كان المقصود الآية ٦٩ منها.

(٩٠) البقرة (٢٣).

(٩١) يوافق ١٣٧٣هـ.

(٩٢) انظر التعليق رقم (٨٨).

أولئك الذين يقنعون فعلاً بالزوجة الواحدة في انجلترا[٩٣].

واستطعت بتفكيري الشخصي أن أرى أنه بعد الحروب بصفة خاصة يصبح عدد النساء في سن معينة يفوق كثيرًا عدد الرجال، ويستتبع هذا أن نسبة غير قليلة منهن لا تجد فرصة للزواج؛ فهل خلقهن الله لمقاساة هذا الحرمان؟ لازلت أذكر أنه في البرنامج الإذاعي «سيدي العزيز» سمعت يومًا فتاة إنجليزية تطالب بتشريع يبيح تعدد الزوجات وقالت: إنها تفضل العيش تشاركها زوجة أخرى، على حياة العانس الموحشة التي يبدو أنها كتبت عليها.

وليس في الإسلام ما يلزم بتعدد الزوجات، ولكن لا شك أن من سمات الدين الكامل أن يتيح مثل هذه الفرصة، عندما تدعو إليها ضرورات الحياة.

ومن ثم بدأت نفسي تطمئن تدريجيًا إلى الحق الذي جاءت به تعاليم الإسلام فأعلنت إيماني به واعتناقي إياه، لا عن عاطفة خاطفة مؤقتة إلى حين، إنما عن اقتناع كامل ودراسة واعية طويلة وتفكير دائب قرابة عامين، ولم أجد أمامي إلا أن أسلك هذا السبيل، طارحة كل العواطف الأخرى التي كانت تشدني شدًا إلى الطريق المضاد.

* * *

(٩٣) أثار المستشرقون شبهات حول تعدد الزوجات في الإسلام. انظر الحديث في ذلك مفصلاً في كتاب: «نساء حول الرسول والرد على مفتريات المستشرقين» لمحمد مهدي الاستانبولي وآخر.

الليدي إيفيلين زينب كوبولد (انجلترا)

Lady Evelyn Zeinab Cobbold

كثيرًا ما سُئلت: متى ولماذا أسلمت؟

وأستطيع الإجابة: بأنني لا يمكنني تحديد اللحظة الحاسمة التي أشرق فيها نور هذا اليقين على قلبي؛ ويبدو أنني كنت مسلمة منذ البداية؛ ولا عجب في هذا إذا علمنا أن الإسلام دين الفطرة، يشبُّ عليه الطفل إذا ترك على فطرته؛ وقد صدق أحد علماء الغرب إذ يقول: «الإسلام دين العقل والفطنة».

وكلما زادت دراساتي وقراءتي عن الإسلام، زاد يقيني في تميُّزه عن الأديان الأخرى، بأنه أكثرها ملاءمة للحياة العملية وأقدرها على حل مشكلات العالم العديدة والمعضلة، وعلى أن يسلك بالبشرية سبل السعادة والسلام؛ لهذا لم أتردد في الإيمان بأن الله واحد، وبأن موسى وعيسى ومحمدًا - عليهم صلوات الله - ومن سبقهم، كانوا أنبياء أوحي إليهم من ربهم، لكل أمة رسول، وبأننا لم نولد في الخطيئة، وبأننا لا نحتاج إلى من يحمل عنا خطايانا أو يتوسط بيننا وبين الله، وفي وسعنا أن نصل أرواحنا به في أي وقت نشاء، وبأنه حتى محمد أو عيسى - صلوات الله عليهما - لا يملك أحدهما لنا من الله شيئًا، وبأن نجاتنا إنما هي وقف على سلوكنا وأعمالنا.

وكلمة «الإسلام» تعني الخضوع والاستسلام لله، كما أنها تعني السلام؛ والمسلم هو هذا الذي يؤمن ويصطبغ بتعاليم خالق الخلق.

والإسلام يقوم على دعامتين، أولاهما وحدانية الله، وثانيتهما الأخوة الشاملة بين البشر، وليس فيه شيء من العقائد اللاهوتية المعقدة الثقيلة، وفي مقدمة كل مميزاته أنه عقيدة إيجابية دافعة.

وفي فريضة الحج ـ وكل قول يقصر عن وصف آثارها ـ يرى الإنسان نفسه فردًا في الجموع الضخمة التي وفدت من أركان العالم المختلفة، في هذه المناسبة المقدسة، وفي هذه البقعة المقدسة، ليشارك إخوته في الإنسانية ـ بكل خشوع ـ في تمجيد الله، فيسري في روحه جلال المثل العليا في الإسلام، وتتاح له الفرصة الطيبة للمشاركة في واحدة من أعظم التجارب الروحية الملهمة التي حبا الله بها البشر.

إن في زيارة موطن نشأة الإسلام، وفي ارتياد أمكنة جهاد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندما دعا البشرية الضالة لتعود إلى الله، إن في ذلك بعثًا لتلك الحياة المباركة في القلوب، وإحياء لذلك الجهاد الطويل، الذي قام به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في سنوات المجد والفداء والاستشهاد، وإن في ذلك لإثارة للروح ليصهرها ذلك اللهيب السماوي الذي أضاء أرجاء المعمورة جميعًا.

على أن ذلك ليس كل شيء في الحج؛ إنه فوق كل شيء سواه، تحقيق للوحدة بين المسلمين، وإذا كان هناك ما يجمع شتات قواتهم ويصبغهم بصبغة الأخوة والعواطف المشتركة، فإن الحج هو الذي يؤدي لذلك بما رسم لهم من نقطة التقاء يجتمعون حولها من كل فجاج الأرض وبما هيأ لهم هذا اللقاء السنوي، ليتعارفوا فيما بينهم، وليتبادلوا وجهات النظر ويتدارسوا شئونهم، وليوحدوا بين كل جهودهم في سبيل صالحهم العام، لا يقيمون وزنًا لتباعد ديارهم، ويطرحون جانبًا خلافاتهم الطائفية والمذهبية، وتتلاشى بينهم فوارق اللون أو الجنس أمام الإخاء في العقيدة التي تجمع المسلمين جميعًا في أخوة شاملة توحي إليهم بأنهم هم ورثة ذلك المجد التليد.

السيدة سيسيليا محمودة كانولي (استراليا)

Mrs. Cecilia Mahmuda Cannolly

لماذا أسلمت؟

أولاً وقبل كل شيء، أود أن أقول: إنني أسلمت لأنني كنت في قرارة نفسي مسلمة دون أن أعلم ذلك.

منذ حداثة سني كنت قد فقدت الإيمان بالمسيحية لأسباب كثيرة أهمها أنني ما سألت مسيحيًا سواء كان ممن يقال عنهم رجال الكهنوت والأسرار المقدسة، أو من العامة، عن أي شيء يبدو لي غامضًا في تعاليم الكنيسة، إلا تلقيت الجواب التقليدي «ليس لك أن تُناقشي تعاليم الكنيسة؛ ويجب أن تؤمني بها».

وفي ذلك الوقت لم تكن عندي الشجاعة الكافية لأقول لهم «إنني لا أستطيع الإيمان بشيء لا أعقله» وتعلمت من خلال تجاربي أن غالبية الذين يسمون أنفسهم مسيحيين لا يجدون هذه الشجاعة كذلك.

كان كل ما فعلته أني هجرت الكنيسة (الرومانية الكاثوليكية) وتعاليمها وركزت إيماني في الإله الواحد الحق، لأن الإيمان به أيسر على النفس من الإيمان بثلاثة آلهة كما تقول الكنيسة، وعلى النقيض من التعاليم الكنسية الغامضة البعيدة عن الإدراك، بدأت أرى الحياة أوسع وأرحب، طليقة من الطقوس والفلسفات؛ فكنت حيثما وجهت وجهي أجد آيات الله في خلقه، وكنت ـ مثل غيري ممن يفوقونني عقلاً وذكاء ـ عاجزة عن فهم المعجزات التي تقع تحت بصري؛ كنت أقف أتأمل كل هذا الإبداع في خلق الله: الأشجار، الأزهار، الأطيار، الحيوانات، حتى الطفل الوليد أصبحتُ

أحس أنه معجزة رائعة جميلة، وليس كما كانت الكنيسة تصوره لنا؛ تذكرت كيف أنني كنت في صغري إذا نظرت إلى طفل حديث الولادة، تصورته «مغطى بسواد الخطيئة». أما الآن فلم يعد للقبح مكان في خيالي، بل لقد أصبح كل شيء أمامي جميلاً.

وذات يوم عادت ابنتي إلى المنـزل، ومعها كتاب عن الإسلام أثار اهتمامنا بهذا الدين، حتى أتبعناه بقراءة كتب كثيرة أخرى عنه، وسرعان ما أدركنا أن الإسلام هو نفس العقيدة التي كنا نؤمن بها.

في الفترة التي آمنت فيها بالمسيحية كنت متأثرة بما كان يلقى في روعنا بأن الإسلام لا يعدو أن يكون حديث فكاهة، حتى كان أن قرأت عنه ما قرأت فانقشع عني ذلك الوهم؛ ولم يمض وقت طويل حتى بحثت عن بعض المسلمين لأسألهم عن الأمور التي لم تكن واضحة تمام الوضوح أمامي، وهنا أيضًا تهتكت الأستار التي كانت تحجب ما بيني وبين الإسلام؛ فما خطر لي من سؤال إلا كنت أتلقى عنه الجواب المقنع الدقيق، على النقيض تمامًا من ذلك الهراء الذي كنت أسمعه حينما كنت أناقش المسيحية.

وبعد طول قراءة ودراسة قررت وابنتي أن نعتنق الإسلام وتسمينا باسم رشيدة ومحمودة.

ولو أن أحدًا سألني عن أهم جانب في الإسلام اجتذبني، لأجبت: إنها الصلاة، لأن الصلاة في المسيحية لا تعدو أن تكون دعاء لله (بواسطة المسيح عيسى) ليمنحنا خير الدنيا، أما في الإسلام فهي ثناء على الله وتحميد له على كافة نعمه لأنه العليم بما ينفعنا، ويمنحنا ما يلزمنا دون أن نسأله من ذلك شيئًا.

الآنسة فاطمة كازو (اليابان)

Miss Fatima Kazue

منذ الحرب العالمية الثانية كنت أراقب في قلق، ذلك التدهور السريع في إيماننا بديننا، إذ بدأنا نألف الحياة الأمريكية، وكنت أحسّ في أعماق نفسي أن شيئًا ما قد فقدناه؛ على أنني بادىء الأمر لم أستطع أن أحدد كنه ذلك الشيء، وكانت روحي تستصرخني لأضع حدًّا لهذا القلق.

وكان من حسن حظي أن أتعرف إلى رجل مسلم[٩٤] يقيم في طوكيو منذ حين وكان سلوكه وطريقته في العبادة يثيران دهشتي فسألته عن أمور كثيرة كانت إجاباته عنها شافية مقنعة تشبع العقل والروح معًا.

لقد علمني كيف يجب على الإنسان أن يحيا وفق الحدود التي رسمها الله، وما كان يدور في خلدي قط من قبل أن تتغير نظرة الإنسان إلى الحياة بمثل تلك السرعة الهائلة التي رأيتها في ذات نفسي عندما نهجت سبيل الحياة الإسلامية وشعرت أنني على وئام مع خالقي.

انظر إلى تحية المسلم: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»، إنها دعاء للسلام من عند الله، ودعاء بالسعادة الأبدية؛ وشتان ما بين هذه التحية وغيرها من «صباح الخير» و«مساء الخير»، تلك التحيات المادية والموقوتة بتمني الخير صباحًا ومساء، ليس فيها معنى الرجاء الدائم، وليس فيها دعاء لله نستمطر به رحمته وبركاته.

لقد علمني هذا الصديق المسلم كثيرًا مما يؤمن به المسلم ومما يؤديه من

---

(٩٤) انظر التعليق رقم (٨٨).

عبـادة. وإنني لتستهـويني طريقـة الحياة الإسـلامية في صفائها وبساطتها وانطباعها بالسلام.

إنني مقتنعة تمامًا بأن الإسلام هو وحده الكفيل بالأمن والطمأنينة في حياة الأفـراد والجـماعات على السواء، وأنه وحده هو الذي يقدم للبشرية السلام الحقيقي الذي طال سعيها وتشوقها إليه.

ويسعدني أنني وفقت إلى هذا السلام، وكم أتمنى لو استطعت أن أنشر الإسلام بين قومي ما وجدت إلى ذلك سبيلاً.

السيدة أمينة موسلر (ألمانيا)

Mrs. Amina Mosler

سمعت ولدي يتوسل إلي وفي عينيه دموع «يا أمي لا أريد أن أبقى مسيحيًا بعد الآن، إنني أريد أن أكون مسلمًا، وأنت أيضًا يا أمي، يجب أن تنضمي معي إلى هذا الدين الجديد».

كان ذلك في عام ١٩٢٨م[٩٥]، وكانت تلك هي المرة الأولى التي شعرت فيها بوجوب معرفة الإسلام؛ ثم مضت سنوات قبل أن أتصل بإمام مسجد برلين الذي شرح لي هذا الدين، فما لبثت أن اقتنعت أن الإسلام هو الدين الحق الذي أرتضيه.

كان الإيمان بالثالوث الذي تدعو إليه المسيحية أمرًا مستحيلاً بالنسبة لي، حتى عندما كنت شابة في العشرين من عمري، وبعد دراسة الإسلام رأيتني أيضًا لا أقرب «الاعتراف» ولا تقديس البابا أو الاعتراف بسلطاته العليا ولا عملية التعميد المسيحية وما شاكل ذلك من عقائد. وهكذا أصبحت مسلمة.

كان كل أسلافي مؤمنين أتقياء، وأنا شخصيًا نشأت في دير ومن ثم فقد تعودت أن أنظر إلى الحياة من زاوية الدين، وكان ذلك يقتضيني أن ألتزم بهذا الدين أو ذاك، فكان من حسن حظي ومن دواعي اطمئناني أن قررت اتباع دين الإسلام.

---

(٩٥) يوافق ١٣٤٦هـ.

والآن ما أسعدني وأنا جدَّة، إذ أستطيع أن أفاخر بأن حفيدي ولد مسلمًا والله يهدي من يشاء إلى طريق مستقيم.

يقول جيته: «إذا كان هذا هو الإسلام، ألسنا جميعًا نعيش في الإسلام».

- راجع كتاب توماس كارليل

"One Heroes. Hero-Worship and the Heroic in History"

لندن ١٩١٨م[٩٦] ص ٢٩١.

(٩٦) يوافق ١٣٣٦هـ.



القسم الرابع

المصلحون والوعاظ ورجال الاجتماع



القسم الرابع

المصلحون والوعاظ ورجال الاجتماع

محمد جون وبستر (انجلترا)

Muhammad John Webster

رئيس البعثة الاسلامية الانجليزية

ولدت في لندن، ونشأت مسيحيًا بروتستانتيًا، وفي سنة ١٩٣٠م[٩٧] في العقد الثاني من عمري، واجهتني المشاكل التي كثيرًا ما يلقاها شاب ذكي يستعمل عقله، وهي ترتبط أساسًا بالملاءمة بين شئون الحياة اليومية ومقتضيات الدين؛ وهنا صادفتني أول نقطة ضعف في المسيحية.

فالمسيحية عقيدة مزدوجة تعتبر الدنيا أثيمة، وتدير ظهرها إلى حقائق الحياة، وتعقد الآمال على الحياة الآخرة، وعلى ذلك وضعت نظامًا دينيًا للناس خاصًا بيوم الأحد، لا نظير له في باقي الأيام الأخرى من الأسبوع؛ وفي الوقت الذي كانت فيه انجلترا تعاني كثيرًا من حالات الفقر وفقدان الاستقرار الاجتماعي، فإن المسيحية لم تحاول أن تعمل شيئًا في هذا السبيل؛ لهذا، وفي حماس الشباب، وتحت تأثير العاطفة أكثر من تأثري بحقائق المعرفة، تزعزع إيماني بالكنيسة؛ وأصبحت شيوعيًا.

وللشيوعية إقناعها المحدود لشاب عاطفي مراهق؛ فلم يمض طويل وقت حتى تبينت طبيعتها الكريهة القائمة على الصراع الطبقي الذي لا يتوقف، ولما لفظت الشيوعية بمبادئها المادية، اتجهت إلى دراسة الفلسفة والأديان، وبدأت من خلال مراقبة كل ما حولي، أشعر بوحدة هذا الوجود؛

(٩٧) يوافق ١٣٤٩هـ.

وأدى بي هذا إلى اعتناقي البانثية، وهي دين تقديس الطبيعة وقوانينها.

من العسير علينا نحن الغربيين أن نتعرف على الإسلام، فمنذ الحروب الصليبية المسيحية ونحن نرى إما إغفالاً متعمدًا لذكر الإسلام وإما تحريفًا متعمدًا وتشويهًا لحقائقه.

ثم حدث عند إقامتي في أستراليا أن طلبت نسخة من القرآن الكريم من مكتبة سدني العامة، فما أن قرأت مقدمة المترجم حتى لمست التعصب ضد الإسلام مكشوفًا مفضوحًا، فلم أتمالك إلا أن أقفل الكتاب وأتركه، ولم أجد عندهم ترجمة للقرآن قام بها مسلم. وبعد أسابيع كنت في بيرث في غربي أستراليا فعاودت البحث في مكتبتها العامة عن نسخة للقرآن شريطة أن يكون مترجمها مسلمًا.

ولا أستطيع أن أعبِّر في كلمات عن مدى تأثيري بمجرد تلاوتي لأول سورة فيه، سورة الفاتحة بآياتها السبع.

ثم قرأت عن حياة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقضيت بضع ساعات في المكتبة في ذلك اليوم؛ لقد وجدت طلبتي وبغيتي وشاء الله بفضله أن أكون مسلمًا مع أنني لم أكن من قبل قد التقيت بمسلم، فبارحت المكتبة يومئذ متعبًا من أثر ما عانيت من جهد فكري وعاطفي.

وفي زيارة ثانية للمكتبة كنت أسائل نفسي، أكان حلمًا ذلك الذي حدث بعد ذلك أو هو حقيقة واقعة؛ وكان من المستحيل عليَّ أن أصدق ما حدث. خرجت من المكتبة لأتناول فنجانًا من القهوة وبينما أنا أشير في الطريق إذا ببصري يقع على بناء خلف سور مرتفع من الطوب الأحمر، مكتوب عليه «مسجد المسلمين» فقلت لنفسي على الفور «أما وقد عرفت

الحق، فعليك اتبـاعه على الفور» فأعلنت قولي: (لا إلـه إلا الله، محمد رسول الله)، وبذلك أصبحت بفضل الله من المسلمين.

* * *

إسماعيل ويسلو زيجريسكي (بولندا)

Ismail Weislaw Zejierski

عالم في الاجتماع . مصلح . باحث اجتماعي

ولدت في كاراكاو (بولندا) في الثامن من يناير سنة ١٩٠٠م[٩٨] من عائلة أشراف البولنديين، وكان والدي ملحدًا، ولكنه كان يسمح لأطفاله أن يتعلموا الدين في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية التي يؤمن بها شكلاً - على الأقل - غالبية الشعب البولندي، والتي كانت تدين بها والدتي، فتعودت منذ طفولتي أن أحترم الدين، وأن أعتقد أنه من أهم العناصر في حياة الفرد والجماعة.

وظاهرة أخرى في منزلنا، كان والدي منذ شبابه كثير الأسفار في مختلف بلاد أوروبا؛ وكان كثيرًا ما يحدثنا عن مغامراته، تاركًا في نفوسنا الإحساس بالجو العالمي؛ فلم يكن يخطر على فكري تحامل على أساس الاختلافات العنصرية أو الإقليمية أو الثقافية، بل كنت دائمًا أشعر أن وطني هو العالم بأسره.

وظاهرة ثالثة تميز بها منزلنا، وهي روح التوسط وكراهية التطرف، فرغم انتساب والدي إلى أسرة أرستقراطية، فإنه كان يحتقر الطبقات اللاهية التي لا تعمل، ويكره التسلط والاستبداد مهما كانت صورته ولكنه لا يؤمن بالإجراءات الثورية ضد النظام العام، بل كان يفضل التطور المبني على أحسن التقاليد الموروثة عن أسلافنا، وكان في الواقع نموذجًا للرجل الذي يؤمن بالطريقة الوسطى.

---

(٩٨) يوافق ١٣١٧/٩/٧هـ.

فلا عجب بعد أن نشأت حرًا في فكري ومهتمًا بشكل خاص بدراسة المجتمع، أن أسلك «الطريقة الوسطى» في حل المشاكل العويصة المختلفة بين اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية مما نتعرض له في حياتنا، وكنت دائمًا أشعر أن الحلول المتطرفة تتعارض مع طبيعة غالبية البشر، وعلى ذلك فإن «الأمر الوسط» هو وحده القادر على إنقاذ البشرية؛ وكنت أومن أن تنظيم المجتمع الإنساني لابد أن يرتكز على حرية منظمة، أو بتعبير آخر على نظام يحترم الحريات والتقاليد وأن علينا أن نطور التقاليد لتلائم الأحوال القائمة.

وهكذا كان لتربيتي على فلسفة «خير الأمور الوسط» أثرها في أن أصبح من المؤمنين بأفضلية أواسط الأمور، وأن يطلق عليَّ وصف: «تقليدي متطور».

وعندما كنت مراهقًا في السادسة عشرة من عمري، كنت كثير الريب في العقائد المختلفة التي تدعو إليه الكنيسة الرومانية الكاثوليكية «التي لا تخطىء» فلم يكن في استطاعتي أن أومن بالثالوث المقدس، ولا بتحويل القربان إلى لحم ودم المسيح، ولا في وساطة القساوسة بين الناس والله، أو بين الله والناس، ولا في تنزيه البابا عن الخطايا، ولا في فاعلية الكلمات والإشارات السحرية التي يؤديها القساوسة في الكنيسة.

لم أكن لأستسيغ عبادة السيدة مريم أو القديسين أو التماثيل والصور والآثار وما إليها، وانتهى بي الأمر إلى إنكار ما كنت أومن به وإلى عدم الاكتراث بأمور الدين.

ثم أعلنت الحرب العالمية الثانية، فحركت في قلبي الشعور بالدين من جديد، وأنار الله بصيرتي، فأدركت أن البشر يفتقرون إلى المثل العليا

وأنه لا يمكن التخلي عنها إذا أريد لهذه الإنسانية النجاة من الفناء والدمار؛ وأيقنت أن المثل المنشودة لا يمكن أن نجدها إلا في الدين.

بيد أن الإنسان في عصرنا هذا لا يمكنه بأي حال أن يؤمن بدين كل عقائده وطقوسه تأباها عقول المفكرين؛ وأدركت كذلك أن الدين الذي يقدم للبشرية تشريعًا كاملاً وشاملاً، ينظم حياة الفرد وحياة الجماعة هو وحده القادر على أن يقود البشرية ويهديها سواء السبيل.

درست الأديان المختلفة، وعلى الأخص تاريخ وأصول الصاحبية «الكويكرز»(*) والتوحيد النصراني(**) والبهائية والبوذية، فلم يقنعني أي واحد منها.

وأخيراً «اكتشفت» الإسلام، حين وقعت على كتيب عنه بلغة الاسبرانتو(***)، كتبه مسلم إنجليزي اسمه اسماعيل كولين إيفانز، فتفتحت آذاني إلى نداء الله، وكان ذلك في فبراير سنة ١٩٤٩م(٩٩)، ثم جاءني كتيب(****) آخر من دار التبليغ الإسلامي (صندوق البريد ١١٢ بالقاهرة) مع بعض مؤلفات مولانا محمد علي.

وجدتني على توافق مع الإسلام ومبادئه التي كنت آلفها منذ نعومة أظفاري؛ وجدت في الإسلام التشريع الكامل الشامل لكل وجوه الحياة،

(*) Quakerism.

(**) Uniterianism ومذهب الموحدين النصارى لا يؤمن بعقيدة التثليث.

(٩٩) يوافق ربيع الثاني ١٣٦٨هـ.

(***) اسمه Islam esperantiste regardata.

(****) اسمه Islam Chies religio.

التشريع القادر على قيادة الفرد والجماعة تجاه إقامة «المملكة الربانية» على الأرض؛ التشريع الذي فيه من المرونة ما يجعله ملائمًا لظروف العصر الحديث.

إنني رجل متخصص في الدراسات النظرية لعلوم الحضارة والاجتماع، وقد أدهشتني النظم الاجتماعية التي يقررها الإسلام، وعلى الأخص الزكاة، وتشريع المواريث، وتحريم الربا، بما فيه فوائد رأس المال، وتحريم الحروب العدوانية، وفريضة الحج، وإباحة تعدد الزوجات في الحدود المرسومة؛ وفي كل هذه الأصول ضمان لسلوك السبيل المستقيم الوسط بين الرأسمالية والشيوعية، وتحديد دقيق لما ينشأ عن المنازعات الدولية، ووضع الأسس الثابتة للسلام الحقيقي كما تقبله العقول؛ ورسم للطريقة المثلى تحقيق التضامن الأخوي بين المسلمين على تباين أجناسهم وقومياتهم ولغاتهم وحضاراتهم وطبقاتهم.

ولقد وضعت الشريعة الأساس الراسخ الذي يقوم عليه الزواج، هذا الأساس الذي لا يتعارض مطلقًا مع ما قرره علم وظائف الأعضاء أو مع الحقائق الاجتماعية، وشتان بين هذا الأساس في سلامته وبين مبدأ(١٠٠) زواج الواحدة الذي تؤمن به الشعوب الأوروبية شكلاً ولكن دون وفاء.

وأختتم اعترافاتي هذه، بأني أحمد الله لعظيم فضله الذي أنعم به عليَّ فهداني إلى الصراط المستقيم.

---

(١٠٠) الصواب: بين هذا الأساس في سلامته ومبدأ..

عبدالله باترسبي (انجلترا)

Abdullah Battersbey

رائد بالجيش البريطاني

كان من عاداتي اليومية، منـذ أكثر من ربع قرن، أن أتنزَّه فترة في زورق صغير (سامبان) في طرق بورما المائية، وكان بحار الزورق الشيخ علي، رجلاً مسلمًا من شيتاتونج (في شرق باكستان)، ماهرًا في عمله متمسكًا بتعاليم دينه مخلصًا له، حريصًا على الصلاة في وقتها، بادي التقوى، فلم يكن جديرًا باحترامي فحسب، بل مثيرًا لاهتمامي كذلك، بماهية هذا الدين الذي استطاع أن يسيطر على هذا الرجل، ويجعل منه عبدًا تقيًا.

وكان حولنا أل بورما البوذيون، وكانت عليهم أيضًا مسحة التقوى، وربما كانوا - كما رأيت في مشاهداتي - من أكثر أهل الأرض إحسانًا وعطاء، إلا أنه كان يبدو لي أن هناك نقصًا ما في عباداتهم. وقد علمت أنهم كانوا يؤدون صلاتهم في معـابـدهم «بـاجـودا»(*) لأني رأيت جموعهم جالسين القرفصاء فيها، يتلون تلاوتهم العبادية «بوذا كارانا جاشامي ضامًا كارانا جاشـامي سانغـا كارانا جاشامي» ويقولون إنهم بذلك يتبعون هدى بوذا شريعة ومنهاجًا للسمو بحياتهم الروحية.

وكـان مظهـرهم هادئـا متبلدًا تنقصـه الروح والحماس، مخالفًا تمام المخالفة لما كان يبدو على الشيخ علي بحار الزورق أثناء صلاته، وقد كنت أتحدث إليه طوال رحلتنا في الزورق في المجاري المائية الضيقة وكنت أرى

(*) باجودا - اسم المعبد الهندي أو الصيني.

أنه تنقصه القدرة على التحدث إلى غيره، عن بواعث التقوى في نفسه، بينما كان هو شخصيًا نموذجًا حيًا لقوة الإسلام الروحية.

اشتريت بعض الكتب التي تبحث في تاريخ الإسلام وتعاليمه، ودرست ما أمكن من سيرة النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما حققه من عظائم الأمور، وكنت أحيانًا أناقش بعض هذه الأمور مع أصدقائي المسلمين؛ ثم أعلنت الحرب العالمية الأولى، وكان عليَّ كما كان على كثير غيري، أن التحق بالخدمة في الجيش الهندي في بلاد ما بين النهرين(*)، حيث أصبحت بعيدًا عن بلاد البوذيين، وأعيش مع العرب، الذين بعث منهم الرسول، والذين بلُغتهم نزل القرآن.

وكانت إقامتي بين هؤلاء الناس حافزًا لي على الاستمرار في الاهتمام بالإسلام وعلى دراسته، فتعلمت اللغة العربية، وازددت اتصالاً بالناس، فأعجبني حرصهم على عبادة الله، وانتهى بي الأمر إلى أن آمنت أنا كذلك بوحدة الإله ووحدانيته، بينما تربيت منذ طفولتي على الإيمان بعقيدة التثليث.

لقد وضح لي الحق الآن في أن الله لم يكن ثالوثًا، إنما هو واحد أحد «لا إله إلا الله» وشعرت بالرغبة في إعلان إسلامي؛ وفي الواقع إنه على الرغم من امتناعي عن زيارة الكنيسة، وأن ترددي على المساجد كان قليلاً عندما تضطرني أعمالي الرسمية بصفتي ضابط شرطة، فقد بقيت حتى ذهبت إلى فلسطين في الفترة بين سنتي ١٩٣٥م[١٠١] و١٩٤٢م[١٠٢] حيث

(*) هي أرض الجزيرة بالعراق (بين دجلة والفرات).

(١٠١) يوافق ١٣٥٤هـ.

(١٠٢) يوافق ١٣٦١هـ.

وجدت الشجاعة على الإعلان رسميًا بدخولي في دين الإسلام ، الذي تخيرته لنفسي منذ سنوات عديدة .

لقد كان يومًا عظيمًا في حياتي ، هذا الذي أعلنت فيه إسلامي رسميًا في المحكمة الشرعية في (بيت المقدس) ويطلق عليها العرب «القدس» أي المدينة المقدسة .

كنت في ذلك الحين «رئيس أركان الحرب» وكان إعلاني لاعتناق الإسلام سببًا في بعض المضايقات . ومنذ ذلك الوقت ، عشت حياة المسلمين عقيدة وعملاً في مصر ، ثم أخيرًا في باكستان .

والإسلام دين يضم أضخم مجموعة من الإخوة تعدادهم حوالي خمسمائة مليون ، والانتساب إليه انتساب إلى الله .

وإذا كنت اليوم قادرًا على الاعتراف بعظمة الإسلام ، وقد استطعت في السنين الأخيرة أن أبذل في سبيل الإشادة بعظمته جهدي ونتاج قلمي وحياتي ، فإن الفضل يعود إلى ذلك الرجل البسيط (الملاح) الذي كان في تقواه حافزًا لي لأعود إلى الله وإلى الإسلام ، فإننا جميعًا نولد مسلمين ولكني - في ضعف البشرية - كنت قد ضللت الطريق .

والآن ، الحمد لله ، على أنني أصبحت أسهم في هذه الأخوة الإسلامية العظيمة ، وإني لأضرع إلى الله في صلواتي داعيًا لروح ذلك الملاح المسكين الذي دفعتني تقواه إلى اكتشاف السبيل الذي ألهمه عقيدته القوية الثابتة .

الله لا رب سواه .

الحي الدائم الواحد .

لا يؤوده شيء ولا ينام.
له الملك وحده.
في السموات والأرض.
عنده مفاتيح الغيب.
لا يشاركه فيها سواه.
بصير بكل ما في الأرض والهواء والماء.
يرى كل زهرة تنبثق، وكل فقاعة في البحار.

* * *

نابليون بونابارت يقول:

«لقد أرسل موسى إلى قومه هاديًا إلى الله، وأرسل عيسى المسيح إلى العالم الروماني، وأرسل محمد إلى اليابسة القديمة..».

«وكانت الجزيرة العربية وثنية بعد المسيح بستة قرون، إلى أن جاء محمد بالدعوة إلى عبادة رب إبراهيم وإسماعيل وموسى وعيسى. وكان الآريون وبعض المذاهب الأخرى قد أخرجوا الشرق عن هدوئه بإثارة التساؤل عن طبيعة الأب والابن وروح القدس، فقام محمد بدعوته أن لا إله إلا الله، أحد، لا والد، ولا ولد، وأن التثليث هو الذي أدى إلى عبادة الأصنام..».

«وآمل أن لا يمضي وقت طويل حتى أستطيع أن أجمع العقلاء والمثقفين من جميع الأقطار لنقيم نظامًا موحدًا مبنيًا على أسس القرآن لأنها هي وحدها الحق وهي وحدها التي تهدي إلى سعادة البشرية». (عن كتاب بونابارت والإسلام - تشرفس - باريس من ص ١٠٥ إلى ص ١٢٥).

.(Bonaparte et l'islam, by Cherfils, Paris)

حسن روف (انجلترا)

Hussain Rofe

مصلح اجتماعي

عندما يعتزم الناس التحول عن دينهم الذي نشأوا عليه بحكم البيئة التي ولدوا فيها؛ فإن الدوافع إلى هذا التحول تكون عادة قائمة على أساس عاطفي أو فلسفي أو اجتماعي. وقد دفعتني فطرتي إلى البحث عن دين يروي غلّتي فلسفيًا واجتماعيًا، فلم يكن مني إلا أن قررت أن أفحص بدقة كل الديانات الرئيسية المعروفة في العالم، فأدرس دعواتها وكتبها وآثارها.

كان مولدي من أبوين أحدهما يهودي، والآخر كاثوليكي، ونشأت في ظل تقليد الكنيسة الإنجليزية، واكتسبت خبرة دقيقة بتقاليدها مدة التحاقي بالمدرسة الإنجليزية العامة، إذ كنت أشترك يوميًا ولعدة سنوات في الصلوات الكنسية باعتبارها أحد الواجبات اليومية. ثم بدأت في سن مبكرة أعقد المقارنات بين العقائد والطقوس في كل من اليهودية والمسيحية. ودفعتني فطرتي إلى رفض عقيدتي تجسيد الإله وتكفيره لذنوب البشر، كما أن عقلي لم يستطع قبول تعدد الأناجيل ونصوصها، أو الإيمان بعقيدة لا ترتكز على منطق العقل، كما هي التقاليد المرعية في الكنسية الإنجليزية.

وجدت في اليهودية تصورًا لله أكثر إجلالاً، ومع ذلك فإن هذا التصور يختلف باختلاف كتب التوراة، ورأيت اليهودية تحتفظ ببعض من نقائها الذي كانت عليه فتعلمت منها الكثير، ولكني أيضًا لم أقتنع بكثير منها، ولو أننا نفذنا كل تعاليمها ومتطلباتها لاستغرق ذلك وقتنا فلا نجد إلا القليل من الوقت لتدبير شئوننا الدنيوية؛ لأن فيها من الطقوس التي لا تنتهي ما يشغل كل جهدنا العقلي.

ولعل أسوأ ما فيها أنها موجبة إلى أقلية مختارة وبذلك تؤدي إلى وجود هوة فاصلة بين مختلف طبقات المجتمع.

ورغم أنني كنت أشهد الصلوات المسيحية في الكنيسة الإنجليزية كما أحضرها في الكنيس اليهودي، وأشارك في كليهما، إلا أنني في الواقع لم أكن أدين بأي من الديانتين؛ رأيت في الكاثوليكية الرومانية كثيرًا من الغموش ومن الخضوع لسلطة البشر، وأنها تصم البشرية بالنقص، بعكس ما تنسبه إلى البابا وأتباعه من تقديس يكاد يرقى بهم إلى شبه الألوهية.

ثم بدأت أدرس الفلسفة الهندوسية وبصفة خاصة تعاليمها الحديثة عند (يوبانيشادر وفيدانتا) (Upanishads and Vedanta) وهنا أيضًا وجدت الكثير مما يعجبني والكثير مما لم يقبله عقلي. لم أجد فيها الحل الشافي لأدواء المجتمع، وفيها ما لا حصر له من المزايا لطائفة القساوسة، في الوقت الذي لا تمتد فيه الأيدي بالرحمة إلى المنبوذين المساكين، وكأنما نصيب أحدهم في الحياة هو خطؤه الشخصي، وأنه إذا تحمل الحياة وشقاءها صابرًا عليها، فقد تكون حياته الآخرة بعد الموت أسعد حالاً. ولعمري ما أيسرها وسيلة لإخضاع عامة الجماهير والسيطرة عليهم، فليس الدين لديهم إلا لإقامة سلطة كهنوتية بيدها مقاليد الأمور، وما كانت نسبتها إلى الله إلا لمجرد التبرير بأن مشيئته تقتضي بقاء كل شيء على ما هو عليه.

وقد علمتني البوذية كثيرًا من العقل وقوانينه. رأيت فيه وسيلة لمحاولة الوصول إلى تفاهم عالمي، في بساطة إجراء تجربة كيميائية، على أن يتحمل الفرد التضحيات الضرورية لذلك. وهنا يكمن رد فعل ضد نظام الطبقات.

ولكني وجدت البوذية خالية من التعاليم الأخلاقية، شأنها في ذلك شأن الهندوسية. رأيت فيها كيف يصل الإنسان إلى قوة فوق قوة البشر، أو ما تظنه الجماهير كذلك، ولكن سرعان ما وضح لي أن هذه القوة ليست دليل(١٠٣) على الرقي الروحي كما يدعون، ولكنها تثبت القدرة على التفوق في علم أو فن التدريبات على مستوى أعلى من الألعاب الرياضية من الناحية السلوكية، وعلى التحكم في العواطف والهيمنة على الرغبات والشهوات، مما كان يهدف إليه الرواقيون (مذهب زينون الفلسفي). ولكنني لم أجد في كل ذلك ذكرًا لله، فلا تكاد توجد إشارة إلى خالق الكون كله، وما هي إلا نمط للسلوك الذاتي للفرد كوسيلة للنجاة والخلاص، مع أن مذهب «بوديس أطفا»(*) يدعو إلى تضحية الفرد بنجاته وخلاصه الذاتي في سبيل نجاة وخلاص الآخرين. وفي هذا المذهب تبدو الروحانية؛ ولا يقتصر الأمر على السيطرة على النزوات الحيوانية والقوى الطبيعية وعلى ذلك فإن في استطاعة البوذية من الناحية النظرية أن تنقذ العالم تمامًا كما تستطيع المسيحية عند «تولستوي» والتي تقتصر على كلمات «النبي عيسى» مجردة مما التصق بها من إضافات وتفسيرات خاطئة.

ولكن إذا كانت هناك معتقدات كثيرة تستطيع من الناحية النظرية إنقاذ العالم، فما بالها لم تستطع أن تحقق ذلك في واقع الحياة؟ الجواب: هو أن مثل هذه العقائد لم تكن تهتم بالكثرة الغالبة من عامة الناس وإنما كانت تخاطب الأقليات. وإذا رجعنا إلى تعاليم كل من المسيحية والبوذية كما أرادها مؤسس كل من الدينين لرأيناها تتجنب التعرض للمشاكل الاجتماعية لعدم

(*) Bodhisattva.

(١٠٣) الصواب: ليست دليلًا.

اهتمامها بها، وقد دعا كل من عيسى وبوذا إلى التخلي عن الممتلكات، وعن كل الرغبات الدنيا للنفس سعيًا وراء حسن الصلة بالله بمثل هذه الأقوال: «لا تقاوموا الشر» و«لا تشغلوا بالكم بما قد يأتي به الغد».

وإني لأشعر بكل تقدير واحترام لهؤلاء الذين يستطيعون أن يسلكوا هذه السبيل، وإني على يقين من أنها تصلهم بالله، ولكنني على يقين أيضًا من أن عامة الناس لا تستطيع سلوك مثل هذه السبيل التي لا يمكنها أن ترتفع بمستوى عامة الفلاحين الجهلاء، وبذلك تصبح هذه التعاليم قليلة الجدوى من الناحية الاجتماعية، لأنها فاشلة تمامًا مع العاديين من عامة البشر فهي نظريات تقبلها العقول ولكنها تعجز تمامًا عن التأثير في عامة الناس بما يرفع مستواها الروحي والعقلي والمادي في فترة وجيزة من الزمن.

وربما كان من العجيب أنني، رغم إقامتي في البلاد العربية، فقد كان اهتمامي بالإسلام قليلاً وسطحيًا، ولم ينل مني الدراسة الفاحصة التي نالتها الديانات الأخرى؛ بيد أني حين أتذكر أن صلتي بالإسلام في أول الأمر، كانت عن طريق قراءتي لترجمة «رودويل» Rodwell للقرآن، فإنني لا يدهشني أنني لم أشعر نحوه بالحماس(*).

ثم تعرفت بعد ذلك إلى أحد دعاة الإسلام المعروفين في لندن، فعجبت لتقصير العرب في تبصير غير المسلمين بالإسلام وفي نشر تعاليم دينهم في بلاد قد يحرزون فيها أحسن النتائج، وإنك كثيرًا ما تشعر لديهم بعدم الثقة في الأجنبي، وهو سلوك يتميز به الشرق يستهدف الإخفاء والكتمان بدلاً من النشر والإعلان. وبتوجيه سليم من الداعية المسلم قرأت

(*) يقصد أن الترجمة لن تكون أمينة.

نسخة للقرآن ترجمها وفسرها رجل مسلم، ومن خلال قراءتي لكثير من الكتب الإسلامية، استطعت تكوين فكرة صادقة عن الإسلام، فلم يمض وقت طويل قبل أن أجدني قد وفقت إلى ضالتي التي بحثت عنها سنوات عديدة.

وذات يوم في عام ١٩٤٥م[١٠٤] دعيت لمشاهدة صلاة العيد وتناول الطعام بعد الصلاة، فكان في ذلك مناسبة طيبة لأرى عن كثب ذلك الحشد الدولي من المسلمين، لا تجد فيه تجمعًا عربيًا، أو عصبيًا قوميًا، بل أمشاج من مختلف بلاد العالم ومختلف الطبقات الاجتماعية ومن مختلف الألوان، قابلت هناك أميرًا تركيًا، وإلى جواره نفر كثير من المعدمين، جلسوا جميعًا لتناول الطعام معًا، لا تلمح في وجوه الأغنياء تواضعًا متصنّعًا، أو تظاهرًا كاذبًا بالمساواة يبدو على الرجل الأبيض في حديثه إلى جاره الأسود، ولا ترى بينهم من يعتزل الجماعة أو ينتحي فيها ركنًا قصيًا، ولا تلمح بينهم ذلك الشعور الطبقي السخيف يتخفى وراء أستار مزيفة من الفضيلة.

ليس هناك مجال لشرح كل أمور الحياة التي وجدت في شرائع الإسلام من حلولها ما لم أجده في غيره. ويكفي أن أقول إنني بعد تفكير وتدبر رأيتني أهتدي إلى الإيمان بهذا الدين بعد دراستي لجميع الأديان الأخرى المعروفة في العالم، دون أن أقتنع بأي واحد منها.

قد بينت فيما ذكرت، لماذا أصبحت مسلمًا، ولكن ذلك لا يكفي مطلقًا لبيان دواعي فخري واعتزازي بذلك، فإن هذا الشعور نما وازداد مع مرور الزمن وازدياد تجاربي. فقد درست الحضارة الإسلامية في جامعة

---

(١٠٤) يوافق ١٣٦٤هـ.

إنجليزية، وأدركت لأول مرة أنها وبكل تأكيد هي التي أخرجت أوربا من العصور المظلمة. واستقرأت التاريخ فرأيت أن كثيرًا من أعظم الامبراطوريات كانت إسلامية، وأن كثيرًا من العلوم الحديثة يعود الفضل فيها إلى الإسلام. فلما جاءني الناس ليقولوا لي إني باعتناقي للإسلام سلكت طريق التخلف، تبسمت لجهلهم وخلطهم بين المقدمات والنتائج.

فهل يجوز للعالم أن يحكم على الإسلام بمقتضى ما أصابه من انحلال لظروف خارجة عنه؟ وهل يجوز الحط من قيمة الفن العظيم الذي صاحب عصر النهضة الأوربية، بسبب انتشار اللوحات الممسوخة في أرجاء المعمورة في أيامنا هذه!! وهل يجوز أن توصم المسيحية بالوحشية وسفك الدماء والبربرية قياسًا إلى محاكمات القرون الوسطى ومحاكم التفتيش الأسبانية.

حسبنا أن نعلم أن أعظم العقول وأكثرها تقدمًا في جميع العصور كانت كلها تنظر بكل تقدير إلى الثقافة الإسلامية، التي ماتزال أكثر لآلؤها مكنوزة لم يتوصل الغرب بعد إليها.

لقد سافرت إلى أقطار كثيرة في أنحاء المعمورة، وأتيحت لي الفرصة لأرى كيف يُستقبل الغريب في كل مكان، وأن أعرف أين يكون إكرامه أول ما يخطر على البال. وأين يكون التصرف الأول في التحري عنه وعن الفائدة التي قد تأتي عن مساعدته، فلم أجد في غير المسلمين من يدانيهم في إكرام الغريب والعطف عليه في غير مقابل.

ومن الناحية الاقتصادية، نجد أن الجماعات الإسلامية وحدها هي التي أزالت الفاصل بين الأغنياء والفقراء؛ بطريقة لا تدفع الفقراء إلى قلب

كيان المجتمع وخلق الفوضى. ويمكنني القول: إن الشيوعية السوفيتية الحديثة ما كان لها أن تولد في ظل دولة إسلامية.

* * *

نبذة من كتاب حياة محمد وتعاليمه

تأليف أني بيزانت (Annie Besant) مدارس - ينية ١٩٣٢م[١٠٥] ص ٣.

كثيرًا ما يرد على فكري أن المرأة في ظل الإسلام أكثر حرية منها في ظل المسيحية، فالإسلام يحمي حقوق المرأة أكثر من المسيحية التي تحظر تعدد الزوجات. وتعاليم القرآن بالنسبة للمرأة أكثر عدالة وأضمن لحريتها، فبينما لم تنل المرأة حق الملكية في انجلترا إلا منذ عشرين سنة فقط، فإننا نجد أن الإسلام قد أثبت لها هذا الحق منذ اللحظة الأولى، وإن من الافتراء أن يقال إن الإسلام يعتبر النساء مجردات من الروح.

---

(١٠٥) يوافق صفر ١٣٥١هـ.

توماس إرفنج (كندا)

Thomas Irving

قبل أن أذكر قصة اعتناقي للإسلام، أرى من الخير أن أذكر شيئًا عن تجاربي الشخصية قبل أن أعرف شيئًا عن مبادئه وبعد أن عرفتها ولا أرمي بهذا إلى مجرد ذكر القصة، وإنما لأميط اللثام عن مدى تطور تفكير آلاف من الشباب الكندي والأمريكي وعن المجال المنتظر للإسلام فيها إذا أتيحت له الفرصة الإعلامية الفعالة.

وإني لأذكر ما كان يهز نفسي هزًا، وأنا طفل صغير، عندما كنت أستمع إلى سيرة المسيح عيسى عليه السلام، ولا أستطيع أن أقول إنني كنت في ذلك الوقت مسيحيًا مؤمنًا عن اقتناع شخصي. لم يكن القصص المثير في الإنجيل ليسترعي اهتمامي، بقدر ما كنت أتساءل في عجب عن السبب في إلحاد العدد العديد من الناس، وعن سبب الخلاف بين اليهود والمسيحيين على الإنجيل ذاته، ولماذا ندين غير المؤمنين به وليس الخطأ خطؤهم[١٠٦]، ولماذا يكون في مقدورهم أن يفعلوا الخير والعمل الصالح، كما تفعله الأمم التي تصف نفسها بأنها راقية.

ومن أبرز ما أذكره، ما قاله مبشر عائد من الهند، عن مدى تمسك المسلمين بدينهم وثباتهم عليه، فكانت تلك هي المرة الأولى التي أسمع فيها عن الإسلام، وقد أثار هذا القول في نفسي تقديرًا لهؤلاء الناس، لثباتهم على عقيدتهم، كما أثار فضولاً لمعرفة المزيد عن هؤلاء «التعساء».

(١٠٦) الصواب: وليس الخطأ خطأهم.

وعندما كنت في السنة الأولى في دراسات الآداب الشرقية، قرأت عن تطور الفكر البشري في محاولاته لمعرفة الله. وقد تبلورت رسالة المسيح في تصويره بأنه رب ودود، لكن هذا التصور يضيع وسط سحب من صلوات غير مفهومة وطقوس وثنية، وتختفي صفات الرحمة والجود وراء تصويره في ذات الوقت ربًا متعاليًا لا يمكن الوصول إليه إلا من خلال وسيط شفيع.

لقد كان العالم في حاجة إلى من يهديه ويعود به إلى ينبوع الحق الصافي؛ إلى معرفة الله الواحد. وكانت أوربا ماتزال في شبه بربرية بتأثير الخرافات الشعبية واضمحلال الثقافة المتوارثة تحت ضغط النظرة الكنسية الضيقة، وكان الشرق مركز الفكر والوحي، وهنا جاء محمد - صلى الله عليه وسلم - بعد عيسى - عليه السلام - بسبعة قرون، والوثنية المسيحية عميقة الجذور في أوربا قبل أن تبدأ فيها الدراسات العقلية، ناهيك عن الوحي، بتسعة قرون.

وأخيرًا اقتنعت بأن محمدًا - صلى الله عليه وسلم - مرسل من ربه لعدة أسباب، أولها: أن الحاجة كانت ماسة إليه، وثانيها: أن خلاصة أبحاثي بعد دراسات قمت بها بنفسي، تتفق تمامًا مع ما جاء به، وثالثها، ودون أن أتأثر بأي من العاملين السابقين ما غمر قلبي من إيمان بقدسية القرآن وتعاليم الرسول.

وفي الوقت ذاته وصلني مزيد من النشرات عن الإسلام فوق ما كنت أشتريه، كما جاءني من المرحوم ق. ا. جايرازبوي O.A. Jairazbhoy وكان من أهل الخير في بومباي، كتاب «ما هو الإسلام» تأليف هـ. و. لوفجروف H. W. Lovegrove by What is Islam وهو من أفضل ما قرأت عرضًا عمليًا عن الإسلام، وجدير بالنشر على أوسع نطاق، ثم وافاني بعد ذلك بتفسير مولانا

محمد علي للقرآن وكتب ونشرات أخرى.

وفي مونتريال أمكنني الحصول على نشرات بالفرنسية عن الإسلام ما بين مهاجم ومدافع فتفتحت أمامي آفاق جديدة للنظر والتدبر.

* * *

يقول جورج برناردشو:

إني أعتقد بأن الناس سيقبلون على دين محمد في أوربا في المستقبل، وقد بدأ يلقى القبول في أوربا اليوم».

نقلاً عن كتاب «مجموعة كتابات قادة القلم» الذي نشرته جماعة التبليغ بالإسلام في انجلترا - طبعة ١٩٣٥م[١٠٧] ص ٧٧.

A collection of Wrstings of Some of the "Eminent Scholars" publishished by the Working Muslim Mission, England.

(١٠٧) يوافق ١٣٥٤هـ.

فوز الدين أحمد أوفرنج (هولندا)

Fauzuddin Ahman Ovcering

واعظ وباحث اجتماعي

ليس من السهل أن أحدد كيف أثار العالم الشرقي اهتمامي، ولكنني أذكر أنه كان باديء الأمر اهتمامًا بلغاته، فبدأت بدراسة اللغة العربية منذ حوالي ثلاثين عامًا وكنت وقتذاك تلميذًا في المدرسة الابتدائية ولم يتجاوز عمري اثني عشر عامًا. ولم أجد حينذاك من يعينني على دراستها فلم أحرز وقتها إلا تقدمًا يسيرًا.

وطبيعي أن دراسة اللغة العربية جعلتني تلقائيًا أتعرف على الإسلام فاشتريت كتبًا كثيرة عنه، وإذ كان مؤلفوها جميعًا من الكُتاب الغربيين فمن المعقول أن يكونوا متحيزين في كثير من الأحيان، غير أنني اقتنعت بأن النبي محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرسل من ربه؛ وكانت معلوماتي عن الإسلام محدودة إذ لم أجد أحدًا يرشدني إليه.

كان كتاب ا. ج. براون عن تاريخ الأدب الفارسي في العصر الحديث "E. G. Browne's, History of Persian Literature in Modern Times" أكثر الكتب أثرًا في نفسي؛ فقد ضم هذا المؤلف الممتاز مقطوعات من قصيدتين شعريتين كان لهما الفضل في اعتناقي للإسلام، هاتان القصيدتان هما «تارجي باند» لهاتف إصفهان و«هافت باند» لمحتشم كاشان.

كانت قصيدة هاتف إصفهان هي أول ما أثر في نفسي لأنها تعطي صورة رائعة لروح حائرة قلقة ثائرة تبحث عن معنى رفيع للحياة، فوجدت نفسي أنموذجًا مصغرًا لها في بحثها عن الحقيقة. ورغم أنني أخاف ما جاء

في بعض أبياتها، فإنني خرجت منها بالحقيقة العظيمة الرفيعة: أن الله واحد ولا شيء سواه، وأنه لا إلـه غيره.

وتنفيذًا لرغبة والدتي وتمشيًا مع ميولي الشخصية، التحقت بمدرسة لتعليم الدين، لا لأنني آمنت بمبادئها الدينية التي كانت تدعي سعة الأفق، ولكن لأن الإلمام بالمسيحية كان يعتبر ضروريًّا في الثقافة العامة.

وأعتقد أن عميد المدرسة قد أذهله في نهاية الشوط الدراسي أن أقدم إليه موضوعًا إنشائيًّا أعلنت فيه إيماني بالإسلام.

لم يكن إيماني في تلك السن المبكرة من حياتي عن وعي وإدراك ومع أنه كان إيماناً حقيقيًّا إلا أنه كان ينقصه الدعم المنطقي ليفند الهجمات المادية الغربية التي يدعمها المنطق.

وهنا قد يتساءل البعض؛ ولماذا يختار المرء الإسلام؟ ولماذا لا يتمسك بدينه الذي ولد عليه (إن وجد)؟. . والإجابة قابعة في صلب السؤال نفسه؛ فالإسلام يعني أن يكون المرء متفقًا مع نفسه، ومع العالم، ومع الله، أي أنه يتضمن التسليم بإرادة الله.

إن للأسلوب القرآني جماله وروعته، وهذا ما لا يتوفر لأساليب ترجمته إلى لغـات أخـرى، وإنني أشـير هنا إلى نص كلمات الله في بعض آيات القـرآن: ﴿**يـا أيتهـا النفس المطمئنة. ارجعي إلى ربك راضية مرضية. فادخلي في عبادي وادخلي جنتي**﴾[١٠٨].

وأستـطيع القـول: إن الإسـلام هو وحده الدين الخالص الذي لم

(١٠٨) الفجر (٢٧ - ٣٠).

تتطرق إليه الخرافات والأساطير، كما حدث في المسيحية والأديان الأخرى.

انظر الفرق بين العقيدة المسيحية التي تعتبر الطفل مسئولاً عن ذنوب أسلافه وبين قول[١٠٩] الله تعالى: ﴿قُلْ أغيرَ الله أبغي ربًّا وهو ربُّ كلِّ شيء ولا تكسبُ كلُّ نفسٍ إلا عليها ولا تَزر وازرةٌ وزرَ أخرى ثم إلى ربكم مَرجِعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾[١١٠] وإلى قوله: ﴿إن الذين كذَّبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تُفتَّح لهم أبوابُ السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلجَ الجملُ في سمِّ الخياط وكذلك نجزي المجرمين. لهم من جهنَّم مهادٌ ومن فوقهم غَواش وكذلك نجزي الظالمين. والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلِّف نفسًا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنَّة هم فيها خالدون﴾[١١١].

---

(١٠٩) الصواب: بين العقيدة المسيحية.. وقول الله..

(١١٠) الأنعام (١٦٤).

(١١١) الأعراف (٤٠ ـ ٤٢).

عمر ميتا (اليابان)

Umar Mita

من رجال الاقتصاد وباحث اجتماعي وواعظ

من فضل الله عليَّ أن وفقني إلى حياة إسلامية سعيدة منذ ثلاث سنوات، وإني مدين بهذا التوفيق إلى إخوان التبليغ الباكستانيين الذين زاروا بلادنا، فكان أن هداني الله بهم إلى الطريق المستقيم.

إن غالبية أهل بلادنا بوذيون، ولكنهم بوذيون بالاسم فقط، فلا يمارسون طقوس البوذية، بل لا يكادون يكترثون بالدراسة الدينية وربما كان السبب في جفوتهم لدينهم أن البوذية تقدم للناس فلسفة رنانة معقدة، ولكنها لا تقدم إليهم مُثُلاً عملية، وهي لذلك بعيدة المنال بالنسبة للرجل العادي الذي تشغله أمور حياته الدنيوية، فلا هو مستطيع أن يفهمها ولا هو قادر على تطبيقها.

ولكن الإسلام يختلف عن ذلك كل الاختلاف، فتعاليمه سهلة بسيطة وواضحة لا التواء فيها، وهي في نفس الوقت عملية إلى أبعد الحدود.

والإسلام ينظم الحياة البشرية في كافة جوانبها، ويصقل التفكير الإنساني، وإذا ما صلح تفكير الإنسان وصفًا. صلح معه العمل تلقائيًّا.

والرجل العادي يستطيع أن يفهم تعاليم الإسلام لبساطتها وسهولة تطبيقها، ولذلك لا نجدها حكرًا على طائفة من رجال الدين أو القساوسة كما نرى ذلك في الأديان الأخرى.

وإني لأتوقع أن يكون للإسلام في اليابان شأن عظيم في المستقبل، وربما صادفته بعض العقبات والصعوبات، إلا أن التغلب عليها غير عسير.

ولتحقيق ذلك أرى من الواجب في المقام الأول ضرورة بذل جهود كبيرة متواصلة للتعريف بالإسلام وتعاليمه إلى شعبنا الذي يتجه يومًا بعد يوم نحو المادية، ولكنه لا يجد فيها سعادته، يجب أن نوضح لهم أن السلام الحقيقي والاطمئنان النفسي يكفلهما الإسلام، لأنه نظام كامل للحياة، يأخذ بيدهم ويوجههم إلى ما فيه خيرهم في شتى نواحيها.

ويأتي بعد ذلك واجب الذين يقومون بالتبشير بالإسلام وتعاليمه، فلابد أن تكون حياتهم وتصرفاتهم كلها نموذجًا عمليًا لما يدعون إليه غيرهم؛ ولعل من سوء الطالع أن الطلبة الذين يفدون على اليابان من مختلف البلاد الإسلامية، ليس فيهم من يقدم لنا مثالاً للرجل المسلم فنقتدي به، ولا نجد لديهم من الإرشاد والتوجيه ما يفيدنا، بل نرى أكثرهم يعيشون معيشة أهل الغرب، ولا يعرفون شيئًا عن الإسلام، لأنهم درسوا في معاهد أنشأتها الدول الأوروبية وأكثرها يشرف عليها الرهبان.

وإذا كان للإسلام أن ينتشر في اليابان، وإني على يقين من أن ذلك سيكون، فإن على أنصار الإسلام ومحبيه أن يفكروا في الأمر، وأن يبذلوا في سبيل ذلك جهودًا متواصلة ومركزة، وعلى هؤلاء المسلمين المؤمنين الذين تتفق حياتهم مع تعاليم دينهم، أن يزوروا اليابان لتعليم الناس وتقديم القدوة إليهم، لأن شعبنا متعطش إلى السلام، والصدق، والأمانة، والفضيلة وما إلى ذلك من نواحي الخير في الحياة، وإني واثق كل الثقة، أن الإسلام، والإسلام وحده هو الذي يستطيع أن يروي ظمأهم.

إننا في حاجة إلى الثقة الكاملة في الله، حتى نستطيع أداء هذه الرسالة، وإننا لنضرع إلى الله أن يرزقنا الإيمان واليقين.

الإسلام هو السلام، وليس بين شعوب الأرض من هو في حاجة للسلام أكثر من شعب اليابان، وإذا أردنا السلام الحقيقي فعلينا أن نؤمن بدين السلام، السلام مع الناس جميعًا، ذلك أن الأخوة في الإسلام مبدأ ينفرد به هذا الدين، وعليه تتوقف سعادة البشرية جميعًا.

البروفسور عبدالأحد داود

بكالوريوس لاهوت (ايران)

Prof. Abdul Ahad Dawud B.D.

Formerly the Reverend David Bengamni Keldani; B.D.

لا أستطيع أن أعزو اعتناقي للإسلام إلا إلى الهدى من لدن رب العالمين، وبغير هدى الله لا تفيد دراسة ولا بحث ولا أي جهد نبذله في الوصول إلى الحق، بل قد تؤدي هذه بنا إلى الضلال.

ومن اللحظة الأولى التي اهتديت فيها إلى الإيمان بوحدانية الله، أصبح رسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قدوتي في خُلُقي وسلوكي.

* * *

علي محمد موري (اليابان)

Ali Muhammad Mori

باحث اجتماعي وواعظ

منذ حوالي ثمانية عشر عامًا، كنت في منشوريا، وكان اليابانيون مازالوا مسيطرين عليها؛ وكان لقائي الأول مع جماعة مسلمة، في صحراء قريبًا من بيكنج. كانت التقوى بادية في حياتهم، وقد تأثرت كثيرًا بنمط عيشهم وسلوكهم في الحياة، وكان هذا الأثر يزداد في نفسي عمقًا كلما تعمقت في سفري في داخل منشوريا.

وعدت إلى اليابان في صيف سنة ١٩٤٦م[١١٢]، بعد هزيمتها فوجدت الأوضاع قد تبدلت كلية فيها. رأيت تغيرًا رهيبًا في تفكير الجماهير، فالبوذية التي كانت تؤمن بها غالبية اليابانيين، قد استشرى فيها الفساد، وبعد أن كانت تلهم الناس سبل الخلاص، إذا بها تُصبح ذات تأثير مضلل في صفوف المجتمع.

وبعد الحرب، أخذت المسيحية في الانتشار السريع بين اليابانيين بعد أن ظلت خلال التسعين سنة الأخيرة لا تعدو كونها دينًا شكليًّا، فقد بدأ الشباب النقي البسيط يعتنق المسيحية بعد إذ فقدوا عواطفهم نحو البوذية، ولكن سرعان ما خابت ظنونهم ورأوا خلف أستار المسيحية أصابع رأس المال البريطاني والأميريكي وأطماعه. لقد بدأت الشعوب المسيحية تتخلى عن مسيحيتها في بلادهم، وها هم الآن يصدرونها إلى خارج بلادهم لخدمة مصالحهم الرأسمالية.

---

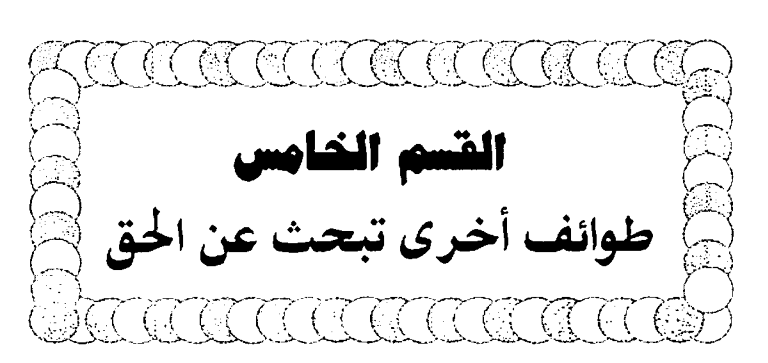
(١١٢) يوافق ١٣٦٥هـ.

والموقع الجغرافي لليابان بين روسيا من جانب وأمريكا من الجانب الآخر، يجعل كلا الطرفين يطمع في بسط نفوذه على الشعب الياباني. وليس هناك من يستطيع أن يجد حلًا دائمًا موفقًا لمشكلة الروحانية المضطربة لدى شعب اليابان.

وفي يقيني أن تعاليم الإسلام وحدها، ولا شيء سواها، هي التي تقدم ولا ريب، الحل الذي طال البحث عنه، لاسيما في مبدأ الأخوة في الإسلام الذي ينال مني كل إعجاب. فالمسلمون كلهم إخوة، ويأمرهم الله أن يعيشوا في سلام، وأن تسودهم روح الألفة، وإنني مؤمن بأن هذا الطراز من الأخوة الحية هو أشد ما يفتقر إليه العالم في يومنا هذا.

وفي الصيف الماضي، قدم من باكستان ثلاثة من المسلمين إلى توكوشيما وقد تعلمت منهم الشيء الكثير عن الإسلام ودعوته، ثم حظيت بمعاونة كل من السيدين موتيوالا من كوبا وميتا من طوكيو فاعتنقت الإسلام.

وأخيرًا، فإنني أتطلع ويحدوني الأمل الواسع، إلى أن يأتي يوم تضفي فيه روابط الإسلام روحًا جديدة على المسلمين في العالم من كل حدب وصوب، وأن تعود هذه الرسالة الربانية لتملأ مسامع الدنيا من جديد، وأن تسود كل بقاعها، فيصبح بها كوكبنا الأرضي جنة نعيم تغمر فيها السعادة الحقة خلق الله جميعًا، بالغين في ظلها ما يريد الله لهم من كمال الحياة بشطريها المادي والروحي.



القسم الخامس

طوائف أخرى تبحث عن الحق

هـ. ف. فيلوز (انجلترا)

H.F. Fellowes

قضيت معظم حياتي في البحرية الملكية، وفي خلال هذه الفترة حضرت الحربين الأولى سنة ١٩١٤م[١١٣] والثانية سنة ١٩٣٩م[١١٤].

وفي البحر لا يمكن الهرب من قوة الطبيعة الجبارة رغم آلات العصر وأجهزته، بما لها من قوة ومقدرة، ومن أبسط هذه المظاهر الأعاصير، والسحاب المركوم، ناهيك عما تضيفه الحروب إلى ذلك من الأخطار.

ولدينا كتاب اسمه «تعليمات من الملكة والأدميرالية» "Queen's Regulations and Admirally, Instructions" نرجع إليه في كل أمورنا، فيه تحديد لواجبات كل ضابط وجندي، ويبين المكافآت سواء في شكل ترقيات أو جوائز حسن السلوك، كما يبين المرتبات والمعاشات. وفيه كذلك تفاصيل دقيقة عن الحد الأعلى للعقوبات في حالات مخالفات القانون البحري، ويشمل كل ما يتعلق بالحياة أثناء الخدمة البحرية. وفي ظل طاعة محتويات هذا الكتاب وتنفيذها أمكن تنظيم سير هذا العدد الضخم من رجال البحرية في كيان منظم ومحكم يستطيع القيام بواجباته في قدرة وكفاية.

ويمكنني أن أقول نفس الشيء عن القرآن الكريم، إذا جاز لي التشبيه، مع عدم المساس بما للقرآن من احترام وتقديس ومع ضخامة الفرق العظيم، فهو كتاب يضم بين دفتيه تعاليم رب العالمين إلى كل فرد في الوجود، رجلاً كان أو امرأة أو طفلاً.

---

(١١٣) يوافق ١٣٣٢هـ.

(١١٤) يوافق ١٣٥٨هـ.

ومنذ أحد عشر عامًا وأنا أشتغل في تربية الزهور، وهي بدورها مهنة يثبت معها اعتماد الإنسان على الله. فإذا أخلصت لله ونفذت أوامره فإنه يعينك وبإرادته يثمر النبات، وإن أنت خالفت نواميسه هلك زرعك؛ وكثيرًا ما تصدر نبوءات جوية عن رجال متخصصين، ولكنها إن صدقت في بعض الحالات أخطأها التوفيق في حالات أخرى.

لقد آمنت أن القرآن الكريم هو كلام الله، وأن الله اصطفى رسوله محمدًا ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليبلغ هذه الرسالة إلى الناس كافة.

والإسلام يتفق وطبيعة الحياة في هذه الدنيا، في بساطته واستقامته وخلوه من التعقيدات التي يصعب إدراكها والإيمان بها. وعباداته في صورها المختلفة تورث الإخلاص العميق.

لقد ولدت ونشأت مسيحيًا في بلاد مسيحية وللتقاليد المسيحية في نفسي جذور متأصلة لا يمكن اقتلاعها والتخلي عنها إلا تحت ضغط دوافع بالغة القوة والإغراء؛ وهنا أرى من الحق أن أقول إن هذه الدوافع كانت نابعة من قرارة نفسي، ورغم أنني لقيت الإجابة عن كل سؤال دار بخلدي، فإن أحدًا لم يعرض عليَّ أن أعتنق الإسلام.

والعقائد الأساسية في كل من الإسلام والمسيحية واحدة ومشتركة، فلابد والحالة هذه من مزيد من الدراسة حتى تستبين الأمور.

لقد بدأ مارتن لوثر ثورته على الكنيسة المسيحية لمزاولتها كثيرًا من الطقوس والمعتقدات الوثنية، فأدت ثورته إلى حركة الإصلاح وإلى قيام الكنيسة البروتستانتية.

والملكة اليزابيث الأولى، عندما وجدت بلادها تحت تهديد الكنيسة

الكاثوليكية الرومانية في أسبانيا، في نفس الوقت الذي كانت فيه بلاد أوربا الوسطى تحت تهديد الإمبراطورية العثمانية النامية، ربطت بين أهداف كل من الإسلام والبروتستانتية على أساس عداء كل منهما للوثنية.

على أنه يبدو أن مارتن لوثر كان يجهل أو يتجاهل، أنه قبل أن يبدأ حركته بتسعة قرون، قام الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأمر ربه، بتصحيح المعتقدات وتنقيتها مما علق بها، وبلغ بها ذروة الكمال، ولم يكن ذلك بالنسبة للمسيحية وحدها بل بالنسبة لجميع الأديان السماوية السابقة.

ومع هذا فإن حركة الإصلاح التي قادها لوثر لم تستأصل كلَّ المعتقدات الوثنية من الديانة المسيحية؛ وكل ما صنعته أنها بدأت عهدًا جديدًا من القسوة والتعصب مازال إلى حد ما قائمًا حتى يومنا هذا.

وجدير بالذكر أنه في الوقت الذي كانت فيه محاكم التفتيش الإسبانية بالغة القسوة ووالغة في الدماء، كان الإسلام يبدي سماحته وبعده عن التعصب، وقد التجأ اليهود المضطهدون في أسبانيا إلى الأتراك فأمنوا على أنفسهم.

لقد أمرنا عيسى ـ عليه السلام ـ باتباع الوصايا العشر التي أنزلت إلى موسى وهو على جبل سيناء؛ وأول هذه الوصايا «إني أنا الله ربكم، فلا تتخذوا من دوني إلـه»[١١٥] وهي تتعارض مع عقيدة الفداء التي يكون الولاء فيها للمسيح أجدى من الولاء لله، لأن المسيح سيشفع لنا يوم القيامة. ومع ذلك فالمسيحيون يؤمنون بأن المسيح هو الله مجسدًا.

(١١٥) الصواب: فلا تتخذوا من دوني إلـهًا.

كنت دائمًا أتصور الرب هاديًا للبشر ومتصفًا بالعفو والرحمة والعدل، وعلى هذا يستطيع الإنسان أن يطمئن إلى عدالة حسابه وإلى رحمته ومراعاة ظروفه المحيطة به.

أنت مسئول في حياتك عن أعمالك وسلوكك شخصيًا، فإذا كنت تعمل محاسبًا ودلّست في حسابات مخدومك، فإن مآلك إلى السجن لا محالة؛ وإذا كنت تقود سيارة بسرعة زائدة في طريق متعرج منزلق فإنك ولا شك معرض للحوادث. هذه أخطاؤك أنت وارتكبتها أنت ومن الجبن أن تلقي المسئولية على من سواك.

ولا أعتقد أننا ولدنا آثمين تعساء، فهذا ينافي العاطفة النقية نحو الأطفال الأبرياء. لقد علمتني الأيام أن من طبيعة البشر إدخال السرور إلى قلوب الآخرين ما لم يكن الآخرون من الأشرار، وأن الأطفال يحترمون آراء آبائهم ومعلميهم، والكبار يحترمون آراء رؤسائهم، ويشعرون بالغبطة إذا ما أتيحت لهم فرصة معاونة جيرانهم، ولكننا نتعرض أحيانًا لسبب أو لآخر، لتأثير غضب شديد فنلحق أضرارًا بشخص ما أو بشيء ما، وتختلف درجات هذه الانفعالات شدة ولينًا، وتتفاوت فترات حدوثها، وحين نستجيب لها فإننا عندئذ نقع في الإثم، ومَثَل ذلك كمثل الألعاب الرياضية المنظمة، إذا ارتكب أحد اللاعبين مخالفة لقوانين اللعب، وقع عليه «الحكم» الجزاء.

وعلى هذا القياس، نرى أن عقيدة تحمُّل المسيح لخطايا البشر، عقيدة مضطربة لا تقبلها العقول.

والوصية الثانية من الوصايا العشر تبدأ بالقول «لا تتخذ لنفسك صورًا مجسمة»، ثم تقول بعد ذلك «لا تركع لها ولا تعبدها»، وكم من الكنائس والكاتدرائيات تزخر بالصور يركع بعض الناس لها فعلاً.

ولطالما كنت أعجب كيف أن حياة المسيح عيسى وموته وبعثه، لم يكن لها أثر مباشر على سكان فلسطين في ذلك الوقت، من يهود ورومان وغيرهم، إذ يبدو مما نقرؤه في التاريخ أن سيرته لم تؤثر في معاصريه، وعندما كنت في المدرسة لم أتعلم غير آيات الإنجيل؛ وها قد مضت عدة قرون لقيت فيها المسيحية من عناد المقاومة الشيء الكثير، حتى قدر لها أن تثبت ثم تنتشر. وفي المدرسة أيضًا درسنا سيرة محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وانتصاراته وسرعة انتشار الإسلام، على أنه لم تكن هناك أية إشارة للجانب الروحي من الإسلام.

وفي الفترة ما بين سنتي **١٩١٩**م[١١٦] و**١٩٢٣**م[١١٧] كنت في خدمة البحرية في السفن العاملة في مياه تركيا فأثار ذلك اهتمامي بالإسلام. إن إعلان الشهادة الأساسية في هذا الدين «لا إله إلا الله، محمد رسول الله»، تنتزع الانتباه إليها؛ فاشتريت بعض الكتب عن الإسلام رأيت أكثرها متحاملاً عليه وكان في سلوك الخلفاء الأتراك في القرون الثلاثة الأخيرة، وفي فساد رجال السياسة ورجال الدولة هناك، ما يلقي ظلاً سيئًا على الإسلام، فزال اهتمامي به تدريجيًا ورغم ثبات إيماني بالله، إلا أنه كان إيمانًا سلبيًا.

ومنذ عام تقريبًا، عاودني اهتمامي بالإسلام مرة أخرى فعاودت البحث؛ كتبت إلى البعثة الإسلامية فأمدتني بكتب مؤلفوها مسلمون، كشفت لي عن مدى بعد الغربيين عن فهم الإسلام وتشويههم لحقائقه وافترائهم عليه، ووضحت أسباب موقفهم هذا ووسائلهم لتحقيقه. قرأت

---

(١١٦) يوافق ١٣٣٧هـ.

(١١٧) يوافق ١٣٤١هـ.

في هذه الكتب عن يقظة المسلمين من غفوتهم الطويلة، وعن قيام حركات إسلامية نشيطة فعالة تهدف إلى العودة بالإسلام إلى سابق نقائه وصفائه على ضوء تقدم العصر والعلم الحديث، والإسلام ينسجم معه كل الانسجام.

لقد بدأنا نقرأ في الصحف في الآونة الأخيرة أقوالاً لفلاسفة وكُتَّاب، مؤداها أن الأديان الحالية أصبحت عتيقة بالية، وأعتقد أن هذه الأقوال تعكس على مرآتها مدى تشكك الغربيين وارتيابهم في المفاهيم المعقدة والغامضة في الدين المسيحي؛ وهؤلاء الذين ينادون - في زعمهم - إلى الإصلاح والتجديد، إنما يقعون في نفس الخطأ الذي وقع فيه قبلهم مارتن لوثر، لأن الإسلام، وهو الدين الذي يحقق كل هذه الرغبات في الإصلاح، قائم فعلاً بين أيدينا.

ثم انظر إلى ذلك التناقض العجيب؛ إذا أنت لم تعرف طريق الكنيسة، فلا غبار عليك ولا يقول الناس عنك شيئًا، أما إذا أصبحت مسلمًا، فقد صرت في نظرهم - على أقل تقدير - شاذًا غريبًا.

وجملة القول، لقد اعتنقت الإسلام لأنه هو وحده الدين الحق، نظريًا وعمليًا وفي شتى الميادين. ولقد زالت من نفسي كل الشكوك والأفكار الخاطئة، وأصبح قلبي مطمئنًا إلى أن الإسلام - دون ريب - هو الصراط المستقيم، نسأل الله الهداية عليه؛ وأنه سيظل إلى أبد الآبدين هو الصراط المستقيم.

محمد سليمان تاكيوتشي (اليابان)

Muhammad Suleiman Takeuchi

عضو بجمعية علم الأجناس البشرية اليابانية

الحمد لله على أنني أصبحت مسلمًا.

وقد أعجبني في الإسلام ثلاثة أمور:

١ ـ الأخوة في الإسلام وما فيها من قوة دافعة.

٢ ـ حلوله العملية لمشاكل الحياة، فليس فيه انفصال بين العبادات وبين حياة الجماعة[١١٨]، بل على النقيض من ذلك يصلي المسلمون في جماعات، كما يقومون بخدمات للمجتمع ابتغاء وجه الله.

٣ ـ ما يحققه من تآلف بين الناحيتين المادية والروحية في الحياة البشرية.

والأخوة في الإسلام لا تعترف بفوارق أو حواجز من موطن أو عشيرة أو سلالة، ولكنها تجمع بين سائر المسلمين في جميع أنحاء العالم؛ زد على ذلك أن الإسلام لا يختص بنخبة قليلة مصطفاة، بل هو دين لعامة الناس، سواء كانوا باكستانيين أو هنودًا، عربًا أو أفغانيين، صينيين أو يابانيين، وبإيجاز هو دين عالمي لجميع الأجناس والدول.

والإسلام كفيل بحل مشاكل الحياة؛ وهو الدين السماوي الوحيد الذي انتصر على عاديات الزمن؛ وتعاليمه باقية على أصولها كما أوحي بها إلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ منذ أربعة عشر قرنًا.

---

(١١٨) الصواب: بين العبادات وحياة الجماعة.

والإسلام دين الفطرة، ولهذا نجد في مرونته ما يناسب حاجات الناس على تباينهم في كل العصور على اختلافها، كما نرى أنه قام بدور هام في تطوير المدنية البشرية في تاريخه الذي يمكن اعتباره قصيرًا نسبيًّا.

والإسلام ينهج منهجًا جماعيًّا في سبيله لإنقاذ البشرية، كما أنه ليس دينًا على هامش الحياة الواسعة التشعب في نواحيها واتجاهاتها.

إن لي إلمامًا بالبوذية والمسيحية، وكلاهما يدعوان إلى إهمال الروابط الدنيوية، ويحضان على الهروب من المجتمعات البشرية.

ويقيم بعض طوائف البوذيين معابدهم على سفوح الجبال، حيث لا يستطيع الإنسان الوصول إليها إلا بكثير من المشقة، وهناك أمثلة كثيرة في حياة اليابانيين الدينية؛ إذ يجعلون (الرب) بعيدًا عن متناول عامة الناس.

وكذلك الحال مع المسيحيين الذين يقيمون أديرتهم في أماكن نائية منعزلة، وكلا الطائفتين يفصلون بين الحياة الدينية والحياة البشرية العادية؛ بينما نجد إسلامنا على النقيض من ذلك، فالمسلمون يقيمون المسجد في قلب القرية أو المدينة أو في الأحياء التجارية الآهلة من المدن الكبرى، وديننا يحض على صلاة الجماعة، وعلى رعاية مصالح المجتمع باعتبار أن ذلك جزءًا[١١٩] من الدين.

والحياة البشرية مزيج من الروح والمادة، فقد خلقنا الله من روح وجسد، فإذا أردنا الكمال لحياتنا، كان لزامًا علينا أن نربط بين أرواحنا وأجسادنا وأن لا نجعل حدًّا فاصلاً بين حياة روحية وحياة مادية. والإسلام

(١١٩) الصواب: باعتبار أن ذلك جزءٌ.

يقـدر أهمية كل من الجـانبـين المـادي والـروحي ويضع كلًّا منهما موضعه الصحيح، وعلى هذا الأساس تقوم فلسفته التي تتناول جميع نواحي الحياة البشرية.

إني رجل حديث عهد بالإسلام، إذ اعتنقته منذ عامين، أدركت فيهما أنه دين الأخوة على أساس من العقيدة والعمل بها.

واليابـان في يومنـا هذا، هي أكثر الدول الآسيوية تقدمًا في ميدان الصناعة وقد تغيَّر المجتمع الياباني تغيُّرًا كليًّا نتيجة للثورة التكنولوجية وما تمخض عنها من صبغ الحياة بالأساليب المادية، ونظرًا لفقر البلاد في موارد الثـروة الـطبيعية، فإن على الشعب أن يعمـل جاهـدًا ليلًا ونهارًا، حتى يستطيع تغطية نفقة حياته والمحافظة على مستواه التجاري والصناعي وعلى ذلك فنحن في شغل دائم المطالب المادية لحياة لا أثر فيها للناحية الروحية، وكـل همنـا هو الحصول على الربح الدنيوي؛ لأننا لا نجد الوقت الكافي للتفكير في الأمور التي تجاوز الإدراك المادي. ليس للشعب الياباني دين ولا اتجاهات روحية من أي نوع، ولكنه يقتفي أثر المادية الأوروبية، ولعل هذا هو الذي يزيد الجفاف الروحي لديه، فإن أجسادهم التي تستمتع بالغذاء الجيد واللباس الجميل، لا تحمل بين جنبيها إلا نفوسًا محرومة من السعادة.

وإنني على يقين من أن هذه الظروف القائمة الآن هي أنسب الفرص لنشر الإسلام بين الشعب الياباني؛ ذلك أن عماية الجري وراء المتاع المادي جعلت من الأمم التي تصف نفسهـا بالتقـدم، فريسـة الفراغ الروحي، والإسلام وحده هو القادر على ملء هذا الفراغ في أرواحهم؛ ولو أن خطوات سليمـة اتخذت للدعوة إلى الإسلام في اليابان في الوقت الحاضر، فإنه لا يمضي جيلان أو ثلاثة حتى يدخل الشعب كله في هذا الدين، وإنني أعتقد

بأن هذا التحول سيكون نصرًا عظيمًا للإسلام في الشرق الأقصى وسيكون في نفس الوقت من أكبر النعم على البشرية في هذه المنطقة من العالم.

* * *

س. ا. بورد (الولايات المتحدة الأمريكية)

S. A. Board

كان ذلك في عام ١٩٢٠م[١٢٠]، حين كنت في مكتب أحد الأطباء ووقع نظري على عدد من مجلة التايمس الإفريقية وأحداث الشرق، التي تصدر في لندن، وكان بها مقالة عن الإسلام، قرأت فيها فقرة استرعت انتباهي وسوف لا تبرح مخيلتي مهما طال بي المدى، لأنها صارت بضعة مني.

تلك الفقرة هي «لا إله إلا الله»، إن لهذا الكون ربًّا واحدًا؛ يا لها من كنز دونه كل الكنوز، تلك العقيدة التي تحتويها قلوب المسلمين.

لم يمض بي وقت طويل حتى أصبحت مسلمًا وتخيرت لنفسي اسم صلاح الدين. لقد آمنت أن الإسلام دين الحق لأنه يُنزه الله عن الأنداد، ولأنه يعلمنا أن المرء وحده مسئول عن ذنوبه فلا تزر وازرة وزر أخرى، وهو فوق ذلك يتمشى مع الفطرة، فلا يمكن أن يشترك مسئولان في عمل واحد، سواء كان هذا العمل مخزنًا للحبوب أو مرجًا للكلأ أو مدينة أو حكومة أو أمَّة أو العالم بأسره.

وهناك حقيقة أخرى أقنعتني بصدق رسالة الإسلام، فقد أيقظت العرب فجعلت من جاهلية الصحاري وخرافاتها، تلك الحشود الزاخرة من المسلمين الثابتين الأقوياء، فأقاموا في أرجاء العالم إمبراطوريتهم الجديدة ونشروا أناشيد المحبة والنصر في وديان الأندلس.

---

(١٢٠) يوافق ١٣٣٨هـ.

كانت إسبانيا أحراشًا عندما نزل بها المغاربة المسلمون فجعلوا منها جنات الورود؛ والحمد لله الذي أظهر الحق بقلم كاتب مثل جون ودراير John W. Draper فيما ذكره في كتابه: «التطور الفكري في أوربا» (The intillec- tual Development of Europe) مشيرًا إلى الدور العظيم الذي قام به الإسلام في تأسيس الحضارة الحديثة، فكشف القناع عن أساليب المؤرخين المسيحيين في إخفاء ما للإسلام من دَيْنٍ وفضل في عنق أوربا؛ وفيما يلي ما كتبه عن حالة الأوربيين في العصور الوسطى. تلك الحالة التي وجدهم عليها المغاربة المسلمون:

«. . . من همجية سكان أوربا الذين لا يستطيع أحد أن يقول إنهم ارتفعوا عن مستوى الحياة البدائية، فأجسادهم لا تعرف النظافة، وعقولهم جاهلة مظلمة، مساكنهم الأكواخ، وكان فراش أرضها بالعشب يعد ترفًا، وحصير القش على جدرانها كان زخرفًا، طعامهم البقول والحبوب البرية وجذور النباتات أو حتى لحاء الشجر، تكسو أجسادهم جلود الحيوانات لم ترققها الدباغة أو على أحسن الأحوال جلود مدبوغة، أردية متينة طويلة الأجل، ولكن هيهات أن تصان فيها كرامة الرجل. . .».

إن أوربا مدينة للمسلمين بكثير من وسائل الراحة الشخصية في حياتها، فالنظافة من دين المسلمين، وما كان لهم أن يقبلوا على أنفسهم ما كان يرتديه الأوربيون في ذلك الوقت، من ثوب واحد يظل على أجسادهم حتى يتساقط إربًا بالية كريهة المنظر، كريهة الرائحة تملؤها الحشرات والجراثيم.

والعرب الذين استطاعواأن يضيئوا للناس طريق الحياة، وأخرجوهم من حمأة اليأس والقنوط ومن ظلمات الجهل والخرافات، والذين تركوا خلفهم

تراثًا، جعلهم أئمة الناس وسادة للدنيا، هؤلاء العرب (المسلمون) لا بد أن الله كان معهم. لقد أراد الله بمشيئته أن يغير وجه التاريخ برسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - وبالقرآن، وبغير ذلك ما كان لعجائب العلم الحديث أن ترى النور.

ب. دافيس (انجلترا)

B. Davis

كان كان مولـدي في عام ١٩٣١م[١٢١]، ولما بلغت السادسة من عمري التحقت بمدرسة داخلية لمدة سبع سنوات، ثم تركتها إلى مدرسة في إقليمنا؛ وكانت نشأتي على مذهب (النظاميين) Methodist ثم صرت (أنجليكانيًّا) ثم (أنجلو كاثوليكيًّا).

وكنت في جميع هذه المراحل الدينية أشعر بأن الدين بمعزل عن الحياة العادية، كأنما هو حلة قشيبة لا نرتديها إلا أيام الآحاد. وكنت أشعر أيضًا أن كثيرًا من الناس أخذ يتفلَّتُ من قبضة المسيحية ولا سيما الجيل الناشىء، فبدت عاجزة عن التصرف مع الوضع الحالي المتأزم، فحاولت استهواء أتباعها بالبخور المعطر، والأضواء، وملابس الكهنوت الملونة، وبالصلوات والتراتيل المطولة للقديسين، وبكثير من وسائل الاستهواء الرومانية، ولم تحاول أن تربط نفسها بما يجري خارج الكنيسة، وكان ذلك كافيًا لأن أتحول عنها إلى الشيوعية الفاشية.

وفي الشيوعية حاولت أن أعرف مزايا مجتمع ليس فيه مكان للطبقات، ولكن القصص المتتالية عن محاولات الهرب ـ وعجبًا أن يهرب الناس من أرض الحرية، من «الديمقراطية الجديدة» ـ كشفت لي عن أن الشيوعية ما هي إلا وسيلة يستغلها الروس لتحقيق أحلامهم في حكم العالم. ثم يممتُ وجهي شطر الطرف النقيض، شطر الفاشية، ذلك المبدأ

(١٢١) يوافق ١٣٤٩هـ.

الذي يُمني كل إنسان بكل شيء، وفي ظلها حاولت أن أملأ نفسي حقدًا على أولئك الذين يختلفون عني في عناصرهم وألوانهم وبعد شهور قليلة كنتُ فيها من أنصار موسوليني، تذكرت الحرب الأخيرة وما كان فيها من ويلات على أيدي النازي، فحاولتُ التخلص من هذه الأفكار. وفي الواقع عندما كنت فاشيًّا لم أكن أشعر أبدًا براحة ضميري، ولكن كنت أتصور أن في الفاشية وحدها يكمن الحل لكل مشكلاتنا.

وبينا كان ذلك هو مجال تفكيري، إذا بي أرى مجلة الشئون الإسلامية "Islamic Reviwe" في أحد أكشاك الكتب، ولا أدري ماذا حفزني إلى دفع مبلغ شلنين ونصف ثمنًا لمجلة تبحث في عقيدة قال لي عنها المسيحيون والشيوعيون والفاشيون: إنها عقيدة تافهة، وإنه لا يؤمن بها غير سفاكي الدماء وقطاع الطرق؛ ولكنني على أي حال قد اشتريتها، وقرأتها، ثم قرأتها عدة مرات، فوجدت الإسلام يشتمل على كل ما نتصوره من خير في المسيحية وفي الشيوعية وفي غيرهما من الأسماء، بل ويتفوق عليها جميعًا.

وعلى الفور اشتركت في المجلة لمدة سنة، ولم تمض شهور قليلة حتى صرت مسلمًا، وإني لأشعر بالسعادة تغمر قلبي منذ اليوم الذي اهتديت فيه إلى عقيدتي الجديدة، وآمل أن أتعلم اللغة العربية عندما ألتحق بالجامعة إذا قدِّر لي ذلك، إذ إنني الآن أدرس اللاتينية والفرنسية والأسبانية.

توماس محمد كلايتون (الولايات المتحدة الأمريكية)

Thomas Muhammad Clayton

صوت رتيب جميل أخاذ تَردد في الأجواء حولنا، إذ كنا نسير والشمس في كبد السماء، على طريق ترابية في ذلك الوقت الحار من النهار، كنا نجتاز منطقة مشجرة فرأينا منظرًا رائعًا لم تكد أعيننا تصدقه؛ رجل عربي ضرير يرتدي ثوبًا ناصعًا وعمامة بيضاء، يعتلي برجًا خشبيًا مرتفعًا يبدو حديث الصنع؛ وكأنه يوجه إلى السموات ترنيماته الشجية، فجلسنا عن غير قصد منا، كأنما سيطرت ألحانه الساحرة علينا سيطرة التنويم المغناطيسي، وكلماته التي لم نكن نفهم منها شيئًا: «الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله».

كان كل شيء هادئًا حولنا، ولم يكن هناك ما يلفت نظرنا، ولكننا بعد ذلك الصوت رأينا أناسًا كثيرين أخذوا يتجمعون، رأيناهم من مختلف الأعمار وفي مختلف الثياب، ويبدو تباينهم في الأوضاع الاجتماعية يفدون في سكينة وخشوع، يفرشون الحصر على الأرض؛ فكان منظرًا جميلاً يجمع بين خضرة الأعشاب وصفرة الحصر، وظلت جموع الناس تفد إلى المكان حتى صرنا نتساءل متى يا ترى يتم التئام الجموع، كانوا يخلعون نعالهم وينتظمون في صفوف طويلة، الواحد منها خلف الآخر، وقد أثار دهشتنا ونحن نرقبهم في صمت، أنه ليس هناك ما يشير إلى هدف هذا التجمع الذي يضم البيض والصفر والسود، الفقراء والأغنياء والشحاذين والتجار، ويقف الواحد منهم إلى جوار الآخر في غير مراعاة للعنصر البشري أو الوضع الاجتماعي، ولم نرقب رجلاً واحدًا في هذا الجمع، يرفع بصره عن الحصير الذي أمامه.

لقد تركت روح الأخوة التي غمرت هذا الجمع من الناس على اختلافهم، أثرًا لا يمكن أن يزول من نفوسنا. والآن وقد مضى على هذا المشهد حوالي ثلاث سنوات، منها سنتان وأنا مسلم، ما زلت أجد نفسي أستيقظ من النوم في منتصف الليل لأنصت من جديد إلى ذلك الصوت الشجي الأخاذ، ولأرى من جديد ذلك الجمع من الناس، الذين تبدو عليهم مسحة الفضيلة الحقة متوجهين من أعماق قلوبهم إلى ربهم وخالقهم.

❊ ❊ ❊

ج. و. لوفجروف (انجلترا)

J. W. Lovegrove

في هذه السطور القليلة، أحاول أن أجيب في تواضع على التساؤل الذي تلقيته من جهات كثيرة، عن السبب في اعتناقي الإسلام، ولست أراني في موضـوع الدفاع عن هذا الدين، ولكن له مميزات ينفرد بها؛ إنه الدين الباقي ما بقي التاريخ، والذي جاءت به للدنيا شخصية كبرى في التاريخ.

ونحن لا نعلم إلا القليل النادر عن الديانات الأخرى، من حيث تعـاليمهـا الأصلية، إذ لم يصلنـا عنها إلا روايات متناثرة تضم قليلاً من المبادىء الأخلاقية، وهي مبادىء أصيلة لا يصح الاعتراض عليها، وسيرة أصحاب هذه الرسالات يكتنفها كثير من الغموض، مما لا يساعدنا على استقراء تعاليمهم، على ضوء أعمالهم وتصرفاتهم.

أما الإسلام فهو على نقيض ذلك تمامًا، وإن أحدًا لم يستطع أن يشك في ثبـات مراجعه على أصولها، والقرآن الذي بين ظهرانينا اليوم هو نفسه القرآن الذي كان على عهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسنة الرسول من فعل أو قول والتي تعتبر بيانًا للقرآن وتفسيرًا لأحكامه، وصلت إلينا على نقائها الأول وقد وجدتُ فيها من شفاء النفس؛ ما كنت أبحث عنه ـ عبثًا ـ فيما سواها.

كنت أبحث عن دين عمـلي بسيط، وخـال من الفلسفات المعقدة ويقنعني دون إلغاء عقلي. إن أداء حق الله هو ولا شك ـ ويجب أن يكون ـ الهـدف الأول لجميع الأديان، ولكن الإسـلام هو الذي وضع هذا المبدأ

موضع التطبيق العملي؛ والناس في حاجة إلى المبادىء، حاجتهم إلى الأمثلة التطبيقية لمواجهة أمور دنياهم من حاجات دائمة أو عوارض طارئة، وإلى توجيهات تهديهم إلى الطريق القويم في مجابهة أحداث الحياة؛ ولقد وجدت ذلك كله في الإسلام.

ت. هـ. مكباركلي (إيرلندة)

T. H. Mcbarklie

نشأت على المذهب البروتستانتي، وكنت منذ حداثة سني غير مقتنع بالتعاليم المسيحية. فلما انتهيت من المدرسة والتحقت بالجامعة، أضحى هذا الشك يقينًا، فالكنسية المسيحية - كما رأيتها - لم تكن عندي لتعني شيئًا مذكورًا، وكنت في حالة يأس من أن أجد عقيدة قائمة تتضمن كل ما كنت أتصوره من مقومات، فكنت لإرضاء نفسي أحاول أن أتصور نوعًا من الاعتقادات النابعة من نفسي، ولكنها كانت غامضة غير محدودة.

ثم حدث ذات يوم أن وقعت على نسخة من كتاب «الإسلام والمدنية» Islam and Civilization وما أن انتهيت من قراءته حتى أدركت أن المذهب الذي يعرض له الكتاب يكاد يضم كل ما تخيلت من عقائد.

ولقد ذهلت للوهلة الأولى عند مقارنة التسامح الإسلامي بتعصب المذاهب المسيحية، وعندما علمت أن البلاد الإسلامية في العصور الوسطى كانت مشرقة بالعلم والحضارة، في الوقت الذي كان الجهل مطبقًا والخرافات سائدة في غيرها من البلاد؛ كما أقنعتني نظرية الإسلام المنطقية في الجزاء بعكس نظرية الفداء في المسيحية.

وأخيرًا تحققت ما في الإسلام من سعة تتسع للإنسانية جميعًا، وما فيه من هدى للغني والفقير على السواء، ومن مقدرة على تحطيم الحواجز القائمة على تباين المذاهب والألوان.

ديفيس وارنجتون ـ فراي (استراليا)

Devis Warrington - Fry

حقًا لقد انساب الإسلام في نفسي انسياب الربيع المشرق إلى الأرض البـاردة في أعقـاب شتـاء مظلم، فأشاع الدفء في روحي وغمرني بما في تعاليمه من روعة وجمال، وكم فيها من روعة وكم فيها من جمال، كم فيها من وضوح في بنائها المنطقي الرصين: «لا إلـه إلا الله، محمد رسول الله»، أيمكن أن يكون هنالك ما هو أسمى من ذلك وأنقى؟ أين هذا من غموض عقيدة «الأب والابن وروح القدس» التي قد تشيع الرهبة في القلوب، ولكنها لا تكاد تقنع العقل الواعي.

والإسلام متفق تمامًا مع روح العصر الحديث، ويمكن تطبيقه في عالم اليوم. خذ مثـلاً لذلـك مبـدأ «المساواة بين البشر» وهو نفس ما تبشر به الكنـائس المسيحية؛ غير أنه لديهم اسم لا مدلول له، فالبابا والمطرانات والقساوسة ومن معهم جميعًا يحاولون تركيز نفوذهم وسلطانهم من وراء ستار استغلال اسم الرب، وشتان ما بين هذا وبين(١٢٢) ما في الإسلام وتعاليمه الصادقة التي أوحى بها الله إلى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

(١٢٢) الصواب: بين هذا وما في الإسلام وتعاليمه الصادقة.

فاروق ب. كاراي (زنزبار)

Farouk B. Karai

كان اعتنـاقي للإسـلام نتيجة دافع من أعماق نفسي ولعظيم حبي وتقديري لرسول الإسلام محمد صلوات الله عليه، فقد كانت تلك المشاعر تفيض في قلبي تلقائيًا فتملكه منذ زمن طويل، يضاف إلى ذلك أنني كنت أقيم في زنزبار، حيث أتاح لي كثير من أصدقائي المسلمين، دراسة الإسلام دراسة وافية، فكنت أقرأ سرًّا بعض ما كُتب عن الإسلام مخافة أهلي؛ ولما كان شهر ديسمبر سنة ١٩٤٠م[١٢٣] وجدتني مستعدًّا لمواجهة العالم، فأعلنت إسلامي، وهنا بدأت قصة المضايقة والاضطهاد من الأقارب والأباعد، من طائفة «البارسيين»، التي كنت من قبل أنتسب إليها؛ وإنها لقصة طويلة في سلسلة من المشقـات والمتـاعب، تلك التي لقيتهـا، إذ عارضتْ أسرتي اعتنـاقي الإسـلام ولجـأت إلى كل وسيلة تراهـا كفيلة بمضايقتي، ولكن هيهات، فمنذ انبلج نور الحق في قلبي، لم يكن لأية قوة أن تحول دون سلوك السبيل المستقيم الـذي تخيَّرتـه، سبيل الإيمان بالله الواحد وبرسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

صمدت كصخرة جبل طارق أمام المصائب والمشاكل التي كان يثيرها أفـراد أسرتي، الواحدة تلو الأخرى، وكان إيماني بالله وبحكمته وبقدره، يثبت أقدامي أمام كل كيد يكيدون.

لقد درست تفسير القرآن باللغة الجوجارتية Gujarti فكان خير عون

(١٢٣) يوافق ربيع الأول ١٣٥٩هـ.

لي، ويمكنني القول بكل تأكيد إنه الكتاب الذي لا يدانيه غيره من كتب الأديان الأخرى. إنه الكتاب الوحيد الكامل في ذاته، فهو يدعو إلى البساطة والمحبة والأخوة والمساواة بين البشر. إنه لكتاب رائع حقًا، وفي اتباع تعاليمه السامية ضمان لخلود عزة المسلمين ما بقي الزمان.

مؤمن عبدالزاق صلاح (سيلان)

Mumin Abdur-Razzaque Selliah

كنت في وقت ما أرى الإسلام شيئًا كريهًا بغيضًا. ولم يكن لي من المسلمين صديق، بل ولم أحاول أن أتصل بهم نظرًا لكراهيتي لدينهم، وما كنت أحلم بأن قراءة الكتب عن الإسلام ستجعل مني رجلاً آخر، فبدأت أشعر بمحبة الإسلام، لما لمست فيه من استقامة سبيله وخلوّه من الغموض. إنه دين النظافة واليُسر، ومع هذا فقد وجدت فيه من الدراسات الدقيقة العميقة المتعددة، ما جعلني أشعر بأنني أدنو منه سريعًا.

قرأت شيئًا من سور القرآن الكريم، فإذا العجب يتملكني؛ كنت فيما مضى أرى أنه لا شيء يداني الإنجيل، فإذا بي أراني كنت على خطأ عظيم. ليس من شك في أن القرآن الكريم يشع فيه الحق، وأن تعاليمه إيجابية عملية، وخالية من الطقوس والعقائد الغامضة، فكان كل يوم يمضي يقربني رويدًا نحو دين «السلام والحب»، دين الإسلام ولا ريب.

وما كان للأخوة الإسلامية إلا أن تسترعي إعجابي وانتباهي، وأقول للذين يريدون أن يروا بأعينهم كيف يتحقق مبدأ «حب لجارك ما تحب لنفسك»، إنهم لن يجدوا ذلك في غير ظل الأخوة الإسلامية، فلم ير العالم كله وحدة بين البشر أعظم منه أو أكثر عمقًا وإخلاصًا.

وقد أقنعني بالإسلام فوق ذلك خلوه من التعقيدات، فهو مثالي وعملي، وهو دين العقل والقدرة على التطور، وهو كذلك مثالي في عقيدة وحدانية الله وفي نواحيه الروحية، وبهذا فهو الدين الواحد الذي تصلح به البشرية جميعًا، لأنه عملي في نظرياته ومعتقداته ولأنه منطقي ومتجدد تجدد الحياة.

عبدالله يومورا (اليابان)

Abdullah Uemura

يتركز الإسلام في الإيمان بوحدانية الله وبالبعث والحياة الآخرة وبيوم الحساب، وفي المحبة والاستقامة والفضيلة والصدق وفي تكامل الشخصية، وفي كل ما فيه صلاح الحياة. ويمكن القول إن الدأب على إرضاء الله هو في الواقع لب تعاليم الإسلام، وحين كنت أبحث عن الحقيقة، وجدت ضالتي في الإسلام.

والمسيحية أو بالأحرى أناجيلها ـ بوضعها الراهن ـ ليست على نفس نقائها الذي نزلت عليه من عند الله، بل تعرضتْ للتبديل مرة تلو أخرى، وبذلك لا يمكن القول إنها باقية على أصولها، بينما القرآن الكريم تنزيل من عند الله، ومازال باقيًا على حاله دون أدنى تغيير أو تعديل.

والمسيحية كما وصلت إلينا ليست في حقيقة أمرها تنزيلاً من عند الله، وما هي إلا كلمات المسيح وسيرته، ومنزلة المسيح بالنسبة إليها كمنزلة الحديث بالنسبة للإسلام، وعلى ذلك فما أوحي به من الله في المسيحية لم يصل إلينا مباشرة، كما هو الشأن مع الإسلام.

وأكثر الأمور ارتباكًا في المسيحية هي عقيدة التثليث التي يجب الإيمان بها دون إدراك ماهيتها، لأنها ليس لها تفسير تقبله العقول.

ومن المستغرب ـ إلى جوار ذلك ـ أن نسمع أن جزاء الآثمين هو الموت الأبدي، ويدخل في ذلك غير المسيحيين بطبيعة الحال لأنهم في نظر المسيحية الآثمون بعدم إيمانهم بتعاليمها. ولو أن الآثمين اقتنعوا بأبدية موتهم لكان رد الفعل الطبيعي عندهم أن ينغمسوا في رذائلهم وملذاتهم إمعانًا في إرضاء

شهواتهم، قبل انتهاء أجلهم، لأن الموت في نظرهم هو نهاية النهاية.

والبوذية المهايانا(*) اليابانية، هي خليط من البوذية الأرثوذوكسية والبوذية البدائية، وهي شبيهة بالبراهمانية، ويبدو من تعاليمها أن بوذا كان ملحدًا منكرًا للألوهية، لأنه ينكر خلود الروح.

والبراهمانية وإن كانت واضحة في هذه الناحية إلا أن أتباعها لا يعلمون حقيقة براهما، فهم يحاولون أن يضعوه في إطار فلسفي، وهم في محاولاتهم هذه وفي بحثهم عن الحقيقة خلال حواسهم المادية من أبصار وأسماع، لا يلبثون أن يتحولوا عن عبادة الله إلى عبادة مخلوقات الله.

لكن الإسلام وحده هو الذي يهدينا إلى الله الحي الذي له الأمر جميعًا والقدرة جميعًا، والذي يتنزه عن أن يكون له مكان تحده العقول البشرية، والذي لم يلد ولم يولد، والذي له الملك في السماوات والأرض، لا تدين لغيره الرقاب، منه وحده الخشية وله وحده الخضوع والتسليم.

والشنتوية(*) اليابانية تنقصها المزايا والفضائل، لأنها لا تهتم بالأخلاقيات بوجه خاص، فيها تتعدد الآلهة كالوثنية التي تبيح عبادة عدة أصنام.

فالإسلام وحده هو الذي يلبي نداء الروح في بحثها عن الحكمة وعن الحقيقة.

(*) The Japanese Mahayana Budhism.

(*) الشنتوية: دين كان منتشرًا في اليابان حتى سنة ١٩٤٥م[١٢٤]، وبعدها بدأ يتقلص، وكان يدعوهم إلى عبادة أسلافهم ويمثلهم الامبراطور الذي كانوا يعبدونه.

---

(١٢٤) يوافق ١٣٦٤هـ.

إبراهيم فـو (الملايو)

Ibrahim Voo

قبل إسلامي كنت كاثوليكيًّا رومانيًا، ومع أني لم أكن مقتنعًا بعقائد التثليث والعشاء الرباني المقدس والتكريس والتقديس وما إلى ذلك من الأمور الغامضة، إلا أنني لم أفقد إيماني بالله، ولم يكن في استطاعة أي قسيس كاثوليكي أن يقنعني منطقيًّا بهذه العقائد الغامضة، وكان قولهم التقليدي: «إنها أسرار وستبقى أسرارًا؛ إن عيسى هو خاتم الأنبياء، وما محمد إلا دجال» (معاذ الله).

لقد تضاءل إيماني بذلك الدين، إلى أن خالطت كثيرين من مسلمي الملايو وتحدثت معهم عن الدين، وكان الجدل يحتدم بيننا في بعض الأحايين، وبمرور الزمن ازداد اقتناعي بأن الإسلام هو دين العقل والحق، العبادة فيه لله دون سواه، فلا ترى في المساجد صورًا أو تماثيل أو لوحات.

إنها الصلاة في المساجد أو في أي مكان آخر، هي التي ملكت عليَّ قلبي.

يقول برتراند روسل Bertand Russel:

«إن إطلاقنا اسم (العصور المظلمة) لتشمل الفترة ما بين سنتي ٦٩٩[١٢٥] و ١٠٠٠[١٢٦] لدليل على أننا نحصر اهتمامنا في غرب أوربا، دون وجه حق؛ فمن الهند إلى إسبانيا، كانت حضارة الإسلام مزدهرة حينئذ؛

---

(١٢٥) يوافق ٨٠هـ.

(١٢٦) يوافق ٣٩٠هـ.

وما كانت تفتقده البلاد المسيحية في ذلك الحين، لم تكن تفقده المدنية عامة، بل الأمـر على النقيض تمامًا. إن مدنية غرب أوربا في نظرنا هي المدنية، ولكن هذه نظرة ضيقة».

(من كتاب تاريخ الفلسفة الغربية - لندن ١٩٤٨م[١٢٧] - ص ٤١٩).

---

(١٢٧) يوافق ١٣٦٧هـ.

محمود جونار إيريكسون (السويد)

Mauhmud Gunnar Erikson

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الكريم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

بدأت صلتي لأول مرة بالإسلام منذ خمس سنوات، إذ أراد صديق عزيز عليَّ أن يقرأ القرآن الكريم، لغرض ما في نفسه، ولم أشأ أن أظل جاهلاً بهذا الكتاب الذي أراد صديقي أن يلم ببعض ما فيه فرأيت أن أحصل على نسخة مترجمة إلى اللغة السويدية، وتسنى لي الحصول عليها قبل أن يحصل هو على مثلها، ثم بدأت قراءته.

ونظرًا لأني استعرتها من إحدى المكتبات العامة، فقد كان لزامًا عليَّ أن أردها بعد أسبوعين، ولذلك كررت استعارتها مرات ومرات؛ وكنت كلما عاودت القراءة ازداد اقتناعي بأن ما في القرآن هو الحق، إلى أن كان أحد أيام شهر نوفمبر سنة ١٩٥٠م[١٢٨]، حين قررت اعتناق الإسلام.

مضى عامان وأنا على هذه الحال من الإسلام ولم أزد عليها شيئًا في دراسة هذا الدين، حتى جاء يوم زرت فيه المكتبة العامة الرئيسية في استوكهولم، وعاودتني ذكرى إسلامي، فرأيت أن أبحث عما إذا كانت المكتبة تحتوي كتبًا عن دين محمد - صلى الله عليه وسلم - وسرني أن أجد شيئًا منها، فاستعرت منها القليل، وقرأتها بإمعان، ومن بينها نسخة ترجمة محمد علي للقرآن الكريم، وعندئذ ازداد اقتناعي بما في الإسلام من حق، ومن هنا أيضًا بدأت في تطبيقه عمليًا.

---

(١٢٨) يوافق صفر ١٣٧٠هـ.

ثم اتصلت مصادفة بجماعة إسلامية في السويد وأديت صلاة العيد لأول مرة في استوكهولم في سنة **١٩٥٢**م(١٢٩).

كان هذا موقفي من الإسلام حينما ذهبت إلى إنجلترا قبل عيد الفطر سنة **١٣٧٢**هـ بأسابيع قليلة؛ وفي أول يوم وصلت هناك زرت مسجد وكنج، حيث طُلب مني إعلان إسلامي في يوم العيد، وقد تم هذا فعلاً.

إن ما أعجبني في الإسلام وما زال يعجبني، هو أسلوبه المنطقي، فلا يطلب إليك الإيمان بشيء قبل أن تدركه وتعرف أسبابه؛ والقرآن الكريم يعطينا من الأمثال على وجود الله ما لا يترك مزيدًا لمستزيد.

وناحية أخرى في الإسلام أعجبتني، هي عالميته، فالقرآن الكريم لا يحدثنا عن الله على أنه رب العرب أو أي شعب بذاته بين الشعوب، كلا، بل وليس على أنه رب هذه الدنيا؛ ولكن على أنه رب العالمين، بينما تتحدث الكتب السابقة عن «إلـه بني إسرائيل» وما إلى ذلك.

وفوق هذا فإن الإسلام يأمرنا بالإيمان بجميع الرسل سواء منهم من ذكر في القرآن أو من لم يرد ذكره.

وأخيرًا، فإننا نجد في الكتب السماوية السابقة نبوءات عديدة تشير بغير أدنى شك إلى بعثة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا**﴾(١٣٠).

ويقول: ﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾(١٣١).

❊ ❊ ❊

---

(١٢٩) يوافق ١٣٧٢هـ.

(١٣٠) المائدة (٣).

كلمة الختام

الإسلام هداية الله للبشرية، فليس دينًا لأقوام بذاتهم ولا يختص ببقعة بعينها من بقاع الأرض، وقد دعا بدعوته رسل الله جميعًا في كل العصور، وكان آخرها وأكملها ما أوحي إلى محمد النبي العربي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأدى الأمانة أكمل ما يكون الأداء، وأقام حضارة أساسها الإسلام، كان العرب حملة رسالتها، فخرجوا بفضله من زوايا النسيان ليصبحوا قوة عالمية عرفها الناس جميعًا.

انبثق هذا الدين في الجزيرة العربية، ثم انتشر منها إلى بلاد وأقوام آخرين، فلما تخاذل العرب عن واجبهم نحو الخالق جل شأنه، تقدم أقوام غيرهم ليحملوا راية الإسلام. فدخل المصريون والأسبان والسلاجقة والأكراد والبربر والترك والهنود والمغول وغيرهم تحت لواء الإسلام، وحملوا رايته، وأقاموا دعوته، فخلَّد ذكر كل منهم في عصره؛ ذلك أن الإسلام ليس حكرًا على قوم دون قوم، إنما هو دين البشرية جميعًا.

ومن يدري، أي أمة من أمم الشرق والغرب ستعتنق هذا الدين فتكون بمثابة رأس الرمح في انتفاضة جديدة للإسلام، ورائدة لنهضة العالم في القرن العشرين.

أيتها الأجيال القادمة.
أعلني الكفاح في سبيل الحق.
وارفعي رايات العقيدة الغالبة(*).
واجعلي من حياتك جسورًا عبر الدنيا المتثائبة.
التي أذوتها الأحقاد الناشبة.
وسيري في سبيلك قدمًا..

(*) يقصد راية الإسلام.

الفهـــرس

الموضوع — الصفحة

مقدمة بقلم عبدالحميد بن عبدالرحمن السحيباني ٥
مقدمة المترجم ٧
تقديم للأستاذ إبراهيم باواني ١٥
مقدمة بقلم الأستاذ خورشيد أحمد ٢١

القسم الأول: رجال دولة ورجال سياسة

الحاج اللورد هدلي الفاروق (انجلترا) ٤٧
محمد أسد (النمسا) ٥١
سير عبدالله أرشيبولد هاملتون (انجلترا) ٥٦
محمد اسكندر راسيل وب (الولايات المتحدة) ٥٩
السير جلال الدين لودر برنتون (انجلترا) ٦٢
محمد أمان هوبوهم (ألمانيا) ٦٦

القسم الثاني: العلماء ورجال الفكر والكتاب

دكتور علي سلمان بنوا (فرنسا) ٧١
دكتور عبدالكريم جيرمانوس (المجر) ٧٤
دكتور حامد مرقص (ألمانيا) ٨٢
وليم بورشل بشير بيكارد (انجلترا) ٨٤
كولونيل دونالد روكويل ٨٨
مستر ر. ل. ملما ٩١

القسم الثالث: نساء اعتنقن الإسلام

الآنسة مسعودة ستينمان (انجلترا) ٩٩

مافيز ب. جولي (انجلترا) ١٠٤
الليدي إيفيلين زينب كوبولد (انجلترا) ١٠٩
السيدة سيسيليا محمودة كانولي (استراليا) ١١١
الآنسة فاطمة كازو (اليابان) ١١٣
السيدة أمينة موسلر (ألمانيا) ١١٥
القسم الرابع: المصلحون والوعاظ ورجال الاجتماع
محمد جون وبستر (انجلترا) ١١٩
إسماعيل ويسلو زيجريسكي (بولندا) ١٢٢
عبدالله باترسبي (انجلترا) ١٢٧
حسين روف (انجلترا) ١٣٠
توماس إرفنج (كندا) ١٣٧
فوز الدين أحمد أوفرنج (هولندا) ١٤٠
عمر ميتا (اليابان) ١٤٣
البروفسور عبدالأحد داود (إيران) ١٤٦
علي محمد موري (اليابان) ١٤٧
القسم الخامس: طوائف أخرى تبحث عن الحق
هـ. ف. فيلوز (انجلترا) ١٥١
محمد سليمان تاكيوتشي (اليابان) ١٥٧
س. ا. بورد (الولايات المتحدة الأمريكية) ١٦١
ب. دافيس (انجلترا) ١٦٤
توماس محمد كلايتون (الولايات المتحدة الأمريكية) ١٦٦
ج. و. لوفجروف (انجلترا) ١٦٨
ت. هـ. مكبار كلي (إيرلندة) ١٧٠

ديفيس وارنجتون ـ فراي (استراليا) ١٧١
فاروق ب. كاراي (زنزبار) ١٧٢
مؤمن عبدالرزاق صلاح (سيلان) ١٧٤
عبدالله يومورا (اليابان) ١٧٥
إبراهيم فو (الملايو) ١٧٧
محمود جونار إيريكسون (السويد) ١٧٩
كلمة الختام ١٨٣